الحجامة

بين العلم والأسطورة

تأليف
د. صهباء محمد بندق

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

Dar Alsalam Usquts

هذا الكتاب

- يتناول أحد التوصيات النبوية الطبية فيما يربو على ٢٨ حديثًا نبويًا، على رأسها الحديث الصحيح: "إن أمثل ما تداويتم به الحجامة" (رواه البخاري)
ويبرز التطابق بين الوصايا النبوية و الحقائق العلمية الحديثة ويوحد بين العلم والدين .

- يقدم لك صورًا مفصلة وشرحًا واضحًا للطرق المختلفة لإجراء الحجامة والأدوات المستخدمة، مع شرح مُبسط للنظريات العلمية التي يُمكن أن تُفسر آلية عمل الحجامة والتي تنتظر الكثير من البحوث العلمية المُعمقة .

- يساعدك على التعرف على الأمراض التي يمكن علاجها بالحجامة .

- يستعرض سلسلة من النتائج البحثية التي تبرهن على الأثر العلاجي للتداوي بالحجامة .

- سَيُفاجئُك بأن النبي محمدًا ﷺ قد أوصى بهذا العلاج الرائع وأقره وتعالج به ودعا إليه بشكل استثنائي من بين عشرات الوسائل العلاجية التي راجت في عصره .

- كتبته طبيبة متخصصة في علم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة؛ أعدت أول رسالة ماجستير تتناول موضوع الحجامة على ضوء العلوم الطبية الحديثة .

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN : 977-342-643-2

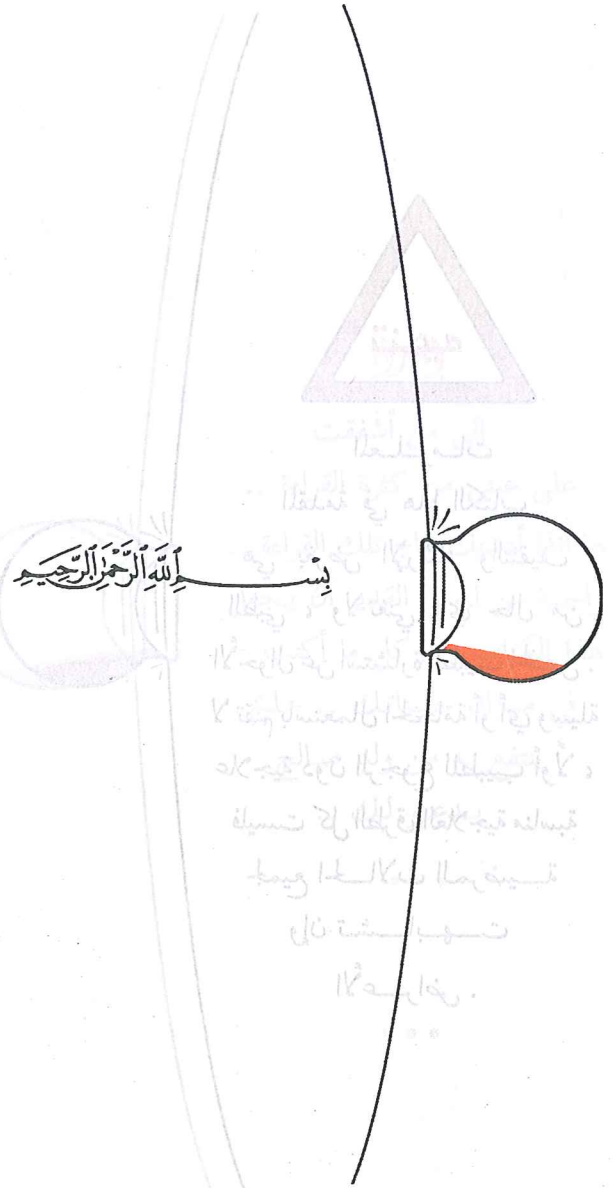

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

بندق ، صهباء محمد
الحجامة بين العلم والأسطورة / تأليف صهباء محمد بندق . - ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٨ .
١٦٠ص ؛ ٢٠سم .
تدمك ٢ ٦٤٣ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الطب النبوي .
٢ - الطب الشعبي .
أ - العنوان .
٦١٠,٩

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تقريبًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

المعلومات
المقدمة في هذا الكتاب
هي بغرض الإرشاد والتثقيف
الطبي ، ولا تغني بأي حال من
الأحوال عن استشارة الطبيب المختص .
لا تقم باستعمال الحجامة أو أي وسيلة
علاجية دون الرجوع للطبيب أولًا ،
فليست كل الطرق العلاجية مناسبة
لجميع الحالات المرضية
وإن تشابهت
الأعراض .

* * *

إهداء

إلى من أشفقت
على عيني من كثرة القراءة ..
ها أنذا أهديك نتاج تلك القراءة ..
راجية من المولى القدير أن يجعل
هذا الكتاب - وكل ما أكتب -
في ميزان حسناتك .. علمٌ
ينتفع به من ولدٍ صالح
يدعو لك ..

* * *

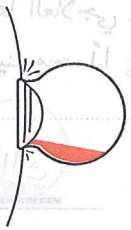

فِهْرِسُ المُحتَوَيَاتِ

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
مقدمة	٩
وصية الليلة المباركة	١٨
الفَصْلُ الأوّلُ	
ما هي الحجامة ؟	٢٥
الحجامة والاستدماء	٢٩
الحجامة في فجر التاريخ	٣٣
الحجامة في عصر النهضة	٣٩
الحجامة في الطب الحديث	٤١
الفَصْلُ الثَّانِيْ	
كيف تُجرى عملية الحجامة ؟	٤٩
أشكال من الكؤوس (المحاجم)	٦٣

طرق تفريغ الهواء من الكأس ٦٦
مواضع (نقاط) الحجامة وأثرها العلاجي ٧٠
مواضع الحجامة التي ورد أن نبينا محمدًا ﷺ
احتجم عندها ٨٣

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الاستطباب بالحجامة في الطب القديم والحديث
(دواعي استعمال الحجامة) ٨٩
أفضل أيام الحجامة ١١٢
الحالات التي لا يجب فيها العلاج بالحجامة
(موانع استعمال الحجامة) ١١٧

الفَصْلُ الرَّابِعُ

تساؤلات تحتاج إلى إجابات ١٢١
احذروا اللاهثين خلف المال باسم السنة الشريفة ١٤١
كيف تتعرف على ممارس الحجامة المُحتال ؟ ١٤٧
فهرس المراجع ١٤٩
نبذة عن المؤلفة ١٥٥

* * *

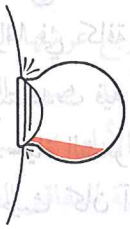

مُقَدِّمَة

باسمك اللَّهم أقرأ وأكتب .. راجية منك التوفيق والسداد .

الحمد للَّه رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد القائل : « **تداووا عباد اللَّه** ... » وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وبعد :

العلاج بكؤوس الهواء أو الحِجامة « Cupping » من أقدم صور العلاج التي عرفتها البشرية (منذ ٥٠٠٠ سنة) .. والتي لاقت رواجًا واسعًا في كافة أنحاء أوروبا وآسيا بالإضافة إلى الصين لعدَّة قرون . كما عرفها العرب وتطببوا بها حيث تُمثل الحجامة أحد أعمدة الطب العربي ؛ فالحجامة إلى جانب الفصد والكي تشكل مثلث العلاجات الجراحية في الطب العربي القديم .

وعلى الرغم مِن العديد مِن المتشككين في فعالية هذا العلاج ؛ فلا شيء كالتاريخ يشهد بالأثر العلاجي الفعال للحجامة في علاج تشكيلة واسعة من الأمراضِ . فتاريخ

التداوي بالحجامة موغل في القدم لدرجة يصعب معها تحري بدء معرفة الإنسان بهذا العلاج ؛ لذلك تمتلك الحجامة سجلًا تاريخيًّا طويلًا ومحترمًا في كافة أنحاء العالم .

ورغم تطور الطب وما استحدث فيه من علاجات إلَّا أن الحجامة لم تختفِ يومًا من حياة الشعوب وإن اختفت من قاموس الطب والتداوي ؛ حيث كان آخر ظهور للحجامة في المراجع والدوريات العلمية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي . إلَّا التداوي بالحجامة على المستوى الشعبي ظل مزدهرًا في العديد من بلدان العالم خاصة في البوادي والمناطق الريفية .

وعلى الرغم من أن الحجامة تبدو - بين تِقِنْيات الطب الحديثة والمتطورة - كعلاج بدائي لا حول له ولا قوة ، إلَّا أن فعالية هذا العلاج في التخلص من التشنجات العضلية على سبيل المثال لا يجرؤ أحد على إنكارها . كما أن تأثير الحجامة الإيجابي في علاج مرض كالربو لا يُختلف عليه ولَمْ يعارضه أحد . ومع بزوغ فجر الألفية الثالثة للميلاد عادت الحجامة لتزهو بثوبها الجديد في مدارس الطب البديل ؛ لتستخدم بشكل منفرد أو بالتزامن مع العلاج الدوائي لعلاج مشاكل كثيرة لا يحلها الطب الحديث . كما تستخدمها مراكز التجميل الغربية الآن أيضًا في علاج الدهون المتجمعة تحت الجلد (السليوليت) وعلاج التجاعيد ، وعلاج مشاكل الجلد المختلفة .

وهكذا أُعيد اكتشاف تلك التقنية القديمة ثانية في القرنِ العشرين ، وزادت شعبيتها في كلتا الأوساط العامة والعلمية ، وعادت الحجامة لتتربع عرشها القديم بعد أن اكتسبت شعبية واسعة الانتشار كأحد صور الطب التكميلي الذي يلقى رواجًا هائلًا هذه الأيام ؛ بسبب ارتفاع معدلات الوعي بخطورة الآثار الجانبية للعقاقير الصيدلانية ؛ خاصة إذا تطلب العلاج تعاطي تلك العقاقير بصفة مستمرة . كما يرجع تزايد إقبال المرضى على الأنماط الغير تقليدية في العلاج - ومن بينها الحجامة - إلى عدم قدرة الأدوية التقليدية على السيطرة الكاملة على الألم بعد أن أعلنت العديد من العقاقير المسكنة للألم فشلها في التعاطي مع مجموعة كبيرة من الآلام المستعصية ؛ ففي ألمانيا ، تقول الإحصاءات أن من ٣٢ إلى ٦٤ ٪ من المصابين بالتهاب المفاصل ، جربوا العلاج بالحجامة كأحد العلاجات غير التقليدية للمعالجة ؛ وكصورة من صور الطب البديل أو التكميلي وذلك في الفترة بين العامين (١٩٨٧ ، ١٩٩٢م) [١] .

وفي استجابة طبيعية لحاجة المرضى لأنماط أخرى من العلاجات غير التقليدية ؛ قامت بعض الجامعات الأمريكية والأوروبية بإدخال العلاج بالحجامة في مناهجها الطبية .

(١) Miehle W (1995) : Chronic Polyarthritis-Treatment with Alternative Medicine. How Frequent is (Self-) Therapy with Alternative Methods, Fortschr Med 1995. Mar 10; 113 (7) : 81-5.

٦٠ ٪ مِن الكليّات الطبيّة في الولايات المتّحدةِ بدأ بتعليم وتدريس الحجامة كشكل من أشكال الطبِّ البديلِ . كما خصصت فصول في كثير من البلدات والمدن في المملكة المتحدة لتعليم فنون الطب البديل ؛ ومن بينها الحجامة [١] . كما أن العلاج بنزح الدم (Blood Letting) يُمارس اليوم في كليّة هارفارد الطبيّة (Harvard Medical School) ، ومركز جونز هوبكنز الطبي (Johns Hopkins Medical Center) وهما اثنان مِن المراكز الطبية الأكثر رفعةً على مستوى العالم [٢] .

كما أُلحقت مؤخرًا في جامعةِ تكساس الأمريكيه وحدة للعلاج بالحجامة وغيرها من صور الطبِّ التكميلي بهدف العناية بمرضى السرطان ورعايتهم ؛ حيث تستخدم الحجامة كعلاج متمم إضافة إلى العلاج التقليدي للسرطان وتعرف تلك الوحدة بـ « مركز إم . دي أندرسن » [٣] ؛ وهو مركز تعاوني دولي يضم العديد من الأطباء السريريين والباحثين متعددي الجنسيات مِنْ أكثر من (١٠٠) مؤسسة تعليمية

(١) Eisenberg DM, Davis RB, Ettner SL, Appel S, Wilkey S, Van Rompay M et al (1998): Trends in Alternative Medicine Use in the United States, 1990-97. JAMA; 280: 1596-1575.

(٢) Skaar E (2004): Why Blood Letting May Actually Worked. Science, Sept. vol. 305: pp. 1626-1628.

(٣) The University of Texas M. D. Anderson Cancer Center, an International, Multidisciplinary Collaboration of Clinicians and Researchers from over 100 Eminent Institutions.

راقية حول العالم . ومن جهة أخرى وجدت بعض الدول ؛ كالهند والصين في هذا النوع من العلاج فرصة لتخفيض نفقاتها العلاجية .

ولا تزال الحجامة تمارس بشكل أو بآخر إلى يومنا هذا في البيئات البدوية خاصة ، وفي العديد مِن المناطق الريفية لا تستخدم الحجامة للعلاج فحسب ؛ بل بشكل وقائي للحفاظ على الصحة العامة . وذلك باستخدام ذات الطريقة التي كانت تمارس بها الحجامة قبل آلاف السنين ؛ حيث يتم إدخال شعلة من النار داخل الكأس لخلخلة الهواء وسحب (مص) الجلد داخل الكأس . وعلى الرغم من تطور وسائل تفريغ الهواء وإنتاج مضخات يدوية وأخرى كهربائية إلّا أن كثيرًا من المرضى ما زالوا يفضلون الطريقة التقليدية القديمة .

ومن أبرز أطباء التاريخ المحترمين الذين عالجوا بالحجامة وبشروا بالتداوي بالحجامة ودافعوا عن العلاج بها ، اثنين من عمالقة الطب ؛ الطبيب الإغريقي الأشهر أبو قراط Hippocrates (٤٦٠ - ٣٧٧ ق . م) المعروف بـ (أبو الطبِّ) ومن بعده الطبيب الروماني جالينوس Galen (١٣١ - ٢٠٠ ق . م) الذي برع في علم التشريح بصفة خاصة ؛ وتوصل إلى معرفة الشرايين والأوردة ، وعرف أنها تحتوي على دم وليس هواء كما كان يعتقد في تلك الفترة الزمنية البعيدة .

ولكن ما سَيُفاجئُك حقًّا أن العملاق الأكبر في تاريخ

الإنسانية ؛ النبي محمد ﷺ قد أوصى بهذا العلاج وتداوى به ، ودعا إليه فيما يربو عن (٢٨) حديث نبوي ؛ منها ثلاثة أحاديث كلها صحيحة متفق عليها ، ولم يضعفها أحد حثت جميعها على الحجامة وأوصت بها ، فالعلاج بالحجامة أحد التوصيات النبويةِ الطبيةِ الأكثر شهْرَةِ ، يقول النبي الأعظم محمد ﷺ : « **خير ما تداويتم به الحجامة** » (١) .

إنه من المدهش حقًّا أن تتفق أقوال النبي ﷺ ذلك الاتفاق الكامل مع أقوال الأطباء والحكماء عبر التاريخ . على الرغم بأنَّهُ من المستحيل لرجل مثل محمد ﷺ - الذي كَانَ شخصًا أُميًّا لا يعرف القراءة والكتابة - أن يكون على علمٍ بالقيمة الشفائية لهذا العلاج ، فهو لم يكن عالـمًا بالطب ؛ مثل أبو قراط ، ولم يمارس الطب مثل جالينيوس ؛ ليكون خبرة تسمح له بالحكم على وسيلة علاجية معينة ، ومن ثم الإقرار بقدرتها العلاجية ومنافعها الصحية . وبالنتيجة لا يمكن أن يكون النبي محمد ﷺ مؤلف تلك النصوص التي تحمل قيمة علاجية !!

إن هذا التطابق بين وصايا الهدي النبوي والحقائق العلمية الحديثة يوحد بين العلم والدين ، ويؤكد أن هذين النورين يصدران عن مشكاة واحدة ؛ وأن النبي العظيم الذي لم يكن طبيبًا ، ولم يدرس أي نوع من العلوم التجريبية لم يكن

(١) أخرجه الشيخان والنسائي ﷺ .

يتحدث على ضوء خبرة ذاتية أو مزاج شخصي بل بإلهام من اللَّه تعالى ، خاصة وأن حديثه حول الحجامة لم يصوَّب من قِبل اللَّه تعالى ، ولم يتراجع عنه النبي الأكرم فيما بعد ، فقد كانت جميع همساته وكلماته تحت رقابة إلهية مدققة ، كونه النبي الخاتم الذي يمثل النموذج البشري الأمثل الذي سيتأسى به الناس من بعده إلى يوم الدين ، وقد أسبغت تلك الرقابة الإلهية (قداسة) على السنة النبوية بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية .

ونحن نصدق كلام رسول اللَّه ، ونؤمن أن اللَّه بعثه هاديًا للعقول ، وطبيبًا للأرواح والأبدان معًا .. ولا يعني أن النبي بُعث هاديًا أنه اختصاصه الوحيد بحيث لا يمكنه الحديث في مجال آخر .. وإنما عندما يريد اللَّه أن ينطقه ؛ ينطقه بما يشاء .. يلهمه ربه متى شاء .. وقد اختار النبي ﷺ وسيلة العلاج بالحجامة من بين الوسائل العلاجية المنتشرة في بيئته ، وحث عليها وطبقها على نفسه بينما نهى عن ممارسة بعض الوسائل الأخرى ، وما اختاره ، وحث عليه ، ومدحه ثبت بالدليل العلمي فوائده ؛ ولهذا فإنك لا تكاد تجد تعارضًا واحدًا بين حديث نبوي وحقيقة علمية مؤكدة . فلا يتناقض صحيح الدين مع مثبت العلم مطلقًا ؛ بل إن حضور الحقائق العلمية في السنة المطهرة يُمثل تحديًّا مستمرًّا لكُلِّ المشككين . وأنت يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَ نفسك ؛ كيف لرجل مثل محمد ﷺ أن يتحدث في القرن السابع بعد الميلاد ، عن حقائق تتأكد

اليوم ، وتنسجم بتوافق كامل مع المعرفةِ العلميةِ الحديثةِ ؟!

وسيساعدك القرآن الكريم في الوصول للإجابة ؛ يقول اللّه تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

لذا ، فإنني أَدْعو قرائي للتمَتُّع بالسماتِ الروحيةِ والعلميةِ لهذا الكتابِ . والتعرف على الحجامة ؛ كعلاج عتيق لعصر حديث .. وإذا أردت أن تعرف المزيد عن الحجامة ، واصل القراءة وسوف تتعرف في السطور التالية على تلك الممارسة عن قرب ... ستتعرف على الحجامة كظاهرة علاجية ولدت يوم ولد الزمان ، وما تزال إلى اليوم حية تنبض بالشفاء .

كما أتمنى أن تتأكد لك من خلال هذا الكتابِ عظمة النبي الأعظم محمد ﷺ وحيوية رسالته الخالدة ، وأرجو أيضًا أن يُساعدك هذا الكتاب على تصديق القرآن الكريم والنبي محمد ورسالته الإسلام .. أسأل اللّه العلي القدير أن يساعدنا جميعًا .. أنا وأنت .. لاتِّباع هدي النبي محمد ﷺ وأن يُبارك أعمالنا ويهدينا ويغفر زلاتنا وما اقترفناه من خطأ أو نِسيان ، وأن يدعم خطواتنا على الطريقِ المستقيمِ ، وأن يستقبلنا صاحب النهج الأقوم يوم القيامة راضيًا مسرورًا ..

اللّهم اشفِ منَّا العِلَل ، واغفرِ الزَّلَل ، اللّهم أذهِب الشكَّ باليقين ، وألبِسْنا ثوبَ الدين ، وانصُر إسلامَنا ، وارفعْ

أعلامَنا وثبِّتْ أقدامَنا ، وسدِّد سهامَنا ، اللهم بلِّغْ رسولَنا عنا الصلاةَ والسلامَ ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وتجرأ عليه الجاهلون ؛ اللّهم آتِهِ الوسيلةَ ، وامنحه الفضيلةَ ، وابعثه مقامًا محمودًا ، وأعطِه حوضًا موردًا ، وأجبْ شفاعتَه ، وأكرمْ وفادتَه ، يا رب إن البشر اعتزُّوا بأنسابِهم ، وافتخروا بأحسابِهم ، وعزُّنا وفخرُنا بك ، فلا نكن أشقى منهم بك .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

د . صَهباء مُحَمَّد بُندُق

القاهرة - يناير ٢٠٠٨م

* * *

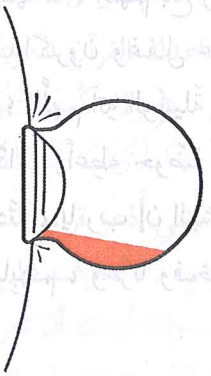

وصية الليلة المباركة

كم يدهشني ذاك النبي الذي لم أره بعد .. فكلماته تسلب المرء من نفسه وتدهشه وتحيره .... بإعجازها العظيم الغامض .. ليست رحلة المعراج وحدها معجزة النبي .. ولا انشقاق القمر .. ولا نطق الحجر ، فكل كلمة وصلتنا عنه تحمل طيوفًا من النور المبهر ، يُدخلنا في عوالم رائعة من الدهشة واليقين معًا .. ولا بد أن كل من سار قبلي على خُطى دربه قد امتلأ مثلي بالدهشة قبل أن ينتهي باليقين .. !!

بعد المعراج حدثت معجزات أخرى للنبي .. لقد شاهد الملائكة وهم يخرجون ويدخلون من أبواب الجنة ... وهم يطوفون حول العرش كما يطوف المسلمون حول الكعبة .. وحدثته الملائكة .. أخرج الترمذي والبيهقي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **ما مررت ليلة أسري بي بملأ من الملائكة إلَّا قالوا : يا محمد مُر أمتك بالحجامة** » .

وفي صحيح الجامع عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسري بي ، إلَّا كلهم يقول لي : عليك يا محمد بالحجامة** » .

وروى الترمذي في سننه عن ابن مسعود قال : حدث رسول الله ﷺ عن ليلة أسري به « أنه لم يمر على ملأ من الملائكة إلَّا أمروه أن مُر أمتك بالحجامة » (١) .

سافرت مع تلك الأحاديث الثلاثة إلى السماء .. فلكل منَّا معراجه الخاص نحو السماء .. لقد استغرقت الرحلة المباركة من مكة إلى القدس صفرًا من الزمان .. واستغرقت في نفسي كل الزمان .. مضيت أتأمل مشاعر الرسول في تلك الليلة الخارجة عن نطاق الزمان والمكان ، وهو يمر بكوكبة من النور تُرحب بضيف السماء ، وتهديه وصية من نور (مر أمتك بالحجامة) وحق على المزور أن يكرم زائره .. أحسست بالحيرة وأنا أتصور تلك المخلوقات النورانية الرقيقة توصي النبي في لحظة بالغة الروحانية بوسيلة لعلاج البدن !!

وسألت نفسي .. كيف تأتى لهذه الخلائق التي تنتمي إلى السماء ، وتعيش بعيدًا عن الأرض أن تتذكر آلام المتعبين ، وآهات الموجعين من أمة الحبيب وتحنو عليهم بالوصية المباركة (**مُر أمتك بالحجامة**) ؟! من أي رقة وحنان صنع الله تلك المخلوقات النورانية ؟ وكم من الحمد ينبغي أن نسوق إلى خالق

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٥٣) ، وقال : هذا حديث حسن .

تلك الرحمة التي نتراحم جميعًا بنفحة واحدة من شذاها ؟!

ثم تذكرت أن كافة التشريعات السماوية هبط بها كبير الملائكة جبريل الأمين من السماء إلى الأرض عدا فرض الصلاة ، فقد أُصعد النبي ﷺ لتلقي تعليمات الصلاة في هذا المعراج وليُطلعه اللَّه على اليقين والمعرفة الشاملة ، ويريه آياته ... فكانت الصلاة إحدى ثمار الرحلة المباركة ، وكانت وصية الملائكة بالحجامة في ذات الليلة ، وتساءلت هل تزامن الأمران .. أمر بالصلاة مع أمر أو وصية بالحجامة .. ليجتمع طب الروح ممثلًا بالصلاة ، إلى طب الجسد ممثلًا بالحجامة .. ؟!

وبقيت تلك المشاعر النورانية تحيط بي وتغمرني بفيض من المسرات طيلة مدة دراستي العلمية لتلك الوصية الملائكية .. التي بدأتها ولن تنتهي .. غمرني ذلك النور في معملي .. في مكتبي .. مع المرضى .. كنت أرى ذلك النور يجلل كل حرف تطبعه لوحة مفاتيح حاسوبي .. أحاطتني بركات ذلك النور في كل خطوة خطوتها في طريق تلك الوصية المنسية .. وشعرت بذلك النور يحميني ويدرأ أكف السوء عني .. وكثيرًا ما تصورت ملكًا لطيفًا من ملأ الملائكة الذي نادى (**يا محمد مر أمتك بالحجامة**) يحيطني كملاك حارس ...

هو شرف للنبي أن يعرج إلى السماء ، وشرف لي أنا

الهباءة الصغيرة أن أتلقى تلك الهدايا المغلفة بثوب الوصايا ، من أجل ذلك أحس بالفرح كلما تذكرت تلك الليلة التي يقف عقلي مشدودًا أمام أعتابها .. ويعود الفرح ليتحرك داخلي كلما تصورت الحنان البادي من النبي العظيم وهو يراجع ربه في أمر الصلاة رأفةً بنا ، ثم يصلي بأنبياء اللَّه ؛ فيقرأ القرآن ويبكي ، وتبكي الأنبياء ، وأبكي أنا أيضًا .. فمضيت أصلي عليه ولم أكد أفعل حتى غمرتني موجات من الرحمة والسكينة ، وتذكرت أن اللَّه تعالى يصلي عشرًا على من يصلي على رسوله مرة .. فسجدت روحي .. وبقيت أصلي عليه !!

* * *

الحجامة

بين العلم والأسطورة

الفصل الأول

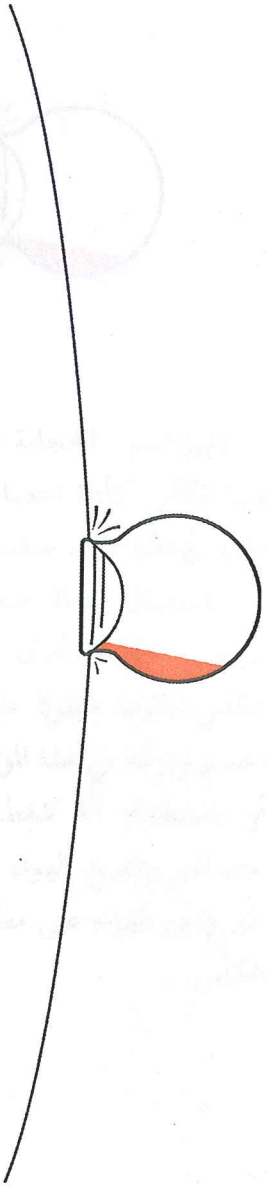

- ما هي الحجامة ؟
- الحجامة والاستدماء .
- الحجامة في فجر التاريخ .
- الحجامة في عصر النهضة .
- الحجامة في الطب الحديث .

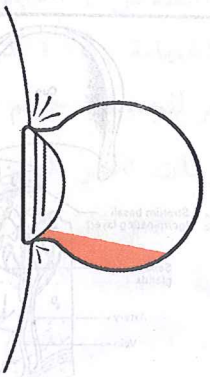

ما هي الحجامة ؟

يُشيرُ اسم « الحجامة » إلى ممارسةِ علاجية قديمة أُستخدم فيها الكأس كأداة امتصاص توضع على مناطق محددة من الجلدِ بهدف توليد ضغطِ سلبي (منخفض) داخل الكأسِ إما باستعمال شعلة صغيرة من اللهب الصغير يُزج بها سريعًا – قبل أن تحرق كليًا – داخل الكأسِ ، ثم وضع الكأس بسرعة مقلوبًا على موضع مستوٍ نسبيًا فوق سطح الجسم وتركه في هذا الموضعِ مدة خمسة إلى عشْرة دقائق ، أو باستخدام آلة شفط يدوية أو كهربائية تعمل على امتصاص وتفريغ الهواء من الكأس ؛ حيث يعمل الكأس المُفرغ من الهواء على مصِّ سطح الجلد وجذبه لأعلى باتجاه الكأس .

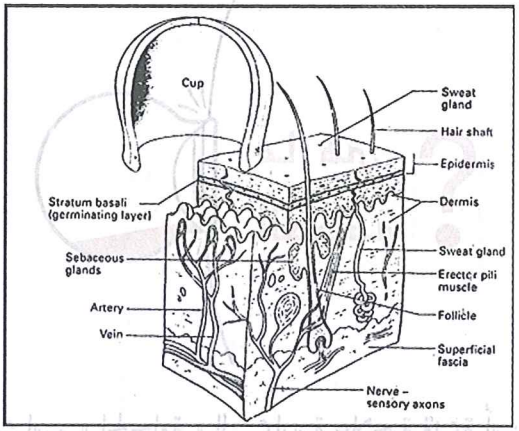

الشكل (١) : مقطع عرضي لطبقات الجلد التي يؤثر عليها كأس الحجامة (١)

وتُعرف الحِجامة في اللغة الإنجليزية باسم (Cupping) وهو اسم مشتق من كلمة (Cup) وتعني الكأس أو الفنجان نسبة إلى استخدام الكأس كأداة في هذه المعالجة .

بينما يطلق العرب على هذه المعالجةِ اسم (الحِجامة) بكسر الحاء ، وهو لفظ مشتق مِن الجذرِ العربي (الحَجْمُ) ، الذي يَعْني (المص) ، ويستعملُ أيضًا لوصف عملية الرضاعة ؛ حيث يمص الرضيعِ ثدي أمِّه ، كما في العبارةِ العربيةِ : « حَجَمَ الصبيُّ ثَدي أُمه إذا مصه » (٢) . ويفصل الفيروزآبادي أكثر فيقول : (المصُّ : يحجِم ويحجُم ،

(١) مصدر الصورة : Cupping Therapy by Chirali ، (١٩٩٩م) .

(٢) في لسان العرب « الحَجْمُ » هو المص . يقال : حَجَمَ الصبيُّ ثَدي أُمه إذا مصه .

والحجَّام المصَّاص ، المحجم والمحجمة : ما يحجم به ، وحرفته الحجامة) (١) ؛ كما جاء في : (المصباح المنير) معنى آخر للحجم : حجم الرجل حجمًا ، أي : شرطه .

ومِن ذات الجذرِ العربي (الحَجْم) ، ينحدر الاسم (المِحْجَمَة) الذي يُشيرَ إلى الوصف العربي للكأس المستعمل في عملية الحجامة (٢) . يقول ابن الأثير : المِحْجَمُ ، بالكسر ، الآلة التي يجمع فيها دم الحِجامة عند المصِّ . وقال الأزهري : و (المحجم) أيضًا موضع الحجامة . كما جاء في (المصباح المنير) معنى آخر للمِحْجَم وهو مِشْرَطُ الحَجَّام ؛ ومنه الحديث : « شربَةُ عَسلٍ أَو شَرْطة مِحْجَم » .

إذن فـ (الحَجْم) هو فعل الطبيب المعالج أو (الحاجم) و (الحِجامة) هي العملية العلاجية ذاتها ، أي أنها (عملية الحجم) و (الحِجامة) أيضًا مهنة وصنعة (٣) ، والمعالج الذي يحترف مهنة الحجامة يُعرف في لسان العرب بـ (الحَجَّام) أي المَصَّاص ؛ وهي صيغة مبالغة استُخدمت لوصف ممارس

(١) الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، بيروت ، دار الرسالة ، (١٩٩٨ م) ، مادة : الحجم ، (١٠٩١) .

(٢) قال ابن الأثير : المِحْجَمةُ ، بالكسر ، الآلة التي يجمع فيها دم الحِجامة عند المصِّ ، وتطرح الهاء فيقال : « محجم » وجمعه « محاجم » .

(٣) ورد في القاموس المحيط : الحجامة : هي حِرفة وفعل الحجَّام .

الحجامة [١] . والمريض هو (المحجوم) ، أي المصوص وفي الحديث الشريف : « **أفطر الحاجم والمحجوم** » [٢] . و (احتجم) أي طلب الحجامة .

* * *

(١) قال الأَزهري : يقال للحاجم حَجَّامٌ لامْتِصاصه فم المِحْجَمَة .

(٢) قال ابن الأثير : معناه أنهما تعرضا للإفطار ، أما المحجوم فللضعف الذي يلحقه من خروج الدم فربما أعجزه عن الصوم ، وأما الحاجم فلا آمن أن يصل إلى حلقه شيء من الدم فيبلعه (حيث كان الحجام يستخدم قرن مفرغ ومثقوب لمص الدم) .

تعتبر الحجامة (العلاج بكؤوس الهواء) تِقنية علاجية مستقلة بذاتها ولكنها أُدمجت تاريخيًا بتقنية علاجية أخرى عُرفت قديمًا بعملية « إراقةِ الدماء » بهدف التداوي أو ما يُعرف بالاستدماء (Blood Letting) . وهي وسيلة علاجية عتيقة لطالما أُستخدمت للمُسَاعَدَة على تَخفيف أمراضِ البشريةِ عبر القرونِ ، وكانت تُعد كأحد خطوط العلاج الرئيسية وفقا لنظرية الأخلاط الأربعة [١] ؛ حيث اعتقد

(١) نظرية الأخلاط (أو السوائل) الأربعة نظرية تعتقد أن صحة الجسم تتوقف على التوازن بين السوائل الأربعة : الدم والبصاق والعصارة المرارية الصفراء والعصارة المرارية السوداء .. وأن كل سائل من هذه السوائل يرمز لعنصر في الطبيعة وقد اتخذ القائمون بالمعالجة بتسريب الدم (Blood Letting) من هذه النظرية تفسيرًا علميًا لطريقتهم العلاجية ؛ حيث اعتقدوا أن تسريب كمية من دم المريض يمكن أن يحقق هذا التوازن المطلوب مما يضمن بالتالي تحقيق الشفاء .

أكثر الممارسين القدامى للطب في ذلك الوقت بأنَّ نزح كمية من الدمِّ مِن الجسمِ يُسهم في علاج تشكيلة واسعة من الأمراض ويقدم خدمة علاجية مهمة في مُواجهة العديد من العلل الصحية ؛ حيث كان المُعتقد السائد في ذلك الزمان أن إدماء المريض يُمثل وظيفة استطبابية بالغة الأهمية – يعمل على إخراج الدمِّ الفائض (الضار) مِن الأعضاء المريضةِ وهو ما يُعجل بالشَفَاء . وتُعد الحجامة المصحوبة بإخراج الدم أحد طرق الاستدماء أو نزح الدم من خلال الجلد .

وهكذا فقد ظهر نوعان رئيسيان لاستخدام كؤوس الهواء ، فإذا اقترنت المعالجة بكؤوس الهواء مع المعالجة بالاستدماء فهذا ما يعرف بالعلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء (Blood Letting Cupping) وتعرف أيضًا بالحجامة الرطبة (Wet Cupping) ؛ حيث يتم شفط الجلد بالكأس بعد إحداث خدوش سطحية (Abrasions) على المواضع التي تتطلب العلاج . وبذلك تُصنف الحجامة الدامية ضمن صور العلاج بالاستدماء (Blood Letting) . كما أن استخدام المشرط في عملية الحجامة يُدخلها بصورة أو بأخرى في مجال الجراحة ، ويدرجها تحت مسمى الجراحات الصغرى (Minor Surgery) إن صح التعبير . أما إذا استعمل الكأس بدون تشريط الجلد بالمشرط ، فهذا ما يعرف بالحجامة الجافة (Dry Cupping) .

وهناك أيضًا عِدة أشكال من العلاج بالحجامة تَتضمَّن

إضافة تقنية علاجية أخرى ودمجها مع تقنية العلاج بالحجامة ؛ من ذلك الحجامة المصحوبة بتقنية الوخز بالأبر ، والحجامة المصحوبة بالبخار المائي لبعض الأعشاب العلاجية . وسيأتي الحديث عن كل ذلك بشكل تفصيلي . وتتوفر عدة أنواع من الكؤوس المستخدمة في عملية الحجامة ؛ فممارس الحجامة قَدْ يَستعمل كأسًا مصنوعًا من الزجاج ، أو المعدن ، أو الخشب (بشكل خاص خيزران) ، كما أن هناك عدة طرق لتفريغ الهواء من الكأس .

ويرى المتحمسون للعلاج بالحجامة أن هذه التقنية تُعمل على تنشيط الدورة الدموية وتحفز جريان الدم في الأوعية ؛ ولهذا فهي تفيد في حالات الاحتقان الدموي ؛ حيث مواضع ركود الدم ، ولهذا السبب استخدمت الحجامة منذ عصور قديمة لعلاج الكدمات الحادَّة وللتخفيف من تورم المفاصل وتسكين آلامها ؛ وكَانت هذه الممارسة العلاجية واسعة الانتشار في كافة أنحاء أوروبا وآسيا بالإضافة إلى الصين كما عرفها العرب أيضًا وتطببوا بها ، ومورست بشكل واسع الانتشار في كافة المجتمعات الإسلاميةِ ، وما زالت تُستعمل كعلاج شعبي منتشر على نطاق واسع بين الشعوب الإسلامية ، وبشكل خاص (الحجامة مع الإدماء) التي تحظى بكثير من الإعزاز والثقة بين عموم المسلمين ، ولم تزل ممارسة علاجية مُحببة ومقبولة اجتماعيًا إلى مدى بعيد نظرًا لكونها مدعومة بشكل مباشر من قبل العديد من

النصوص النبوية الشريفة التي أوصت بها وأقرتها ضمن مجموعة من التوصيات النبوية التي حملت مضامين طبية ، وهو ما قفز بالحجامة في المجتمعات الإسلاميةِ من مجرد وسيلة من الوسائل العلاجية إلى حقيقة من الحقائق الدينية ، وجعل منها وسيلة ليس للتطبب وطلب الشفاء فحسب ؛ بل علاجًا يُتبع تبركًا وتأسيًا بالهدي النبوي .

* * *

الحجامة في فجر التاريخ

تعود أقدم الوثائق التاريخية عن الحجامة إلى حضارة وادي النيل ؛ حيث تُشير الدلائل التاريخية إلى أن قدماء المصريين هم أول من استعمل العلاج بالحجامة على نحو منتظم وعلى أُسس طبية وفقًا للفلسفة والمنهج الطبي المعروف حينها ؛ وتعتبر أوراق البردي المصرية التي سجل فيها قدماء المصريين طريقة العلاج بالحجامة من أقدم الوثائق التاريخية في هذا الموضوع ، وتعد أول إشارة تاريخية للحجامة تلك التي وردت في بردية إبريس (Ebers) الشهيرة [١] ؛ حيثُ ذكر فيها استخدام الحجامة مع الإدماء لإخراج المواد الغريبة عن الجسم ، فقد استخدم الأطباء المصريون القدماء كؤوس الهواء مع الإدماء لإزالة المواد الضارة (Toxic Substances) من

(١) اكتشفت في القرن التاسع عشر ، وهي أقدم مرجع طبي عرفته البشرية والكتاب الدراسي الطبي الأقدم في التاريخ فقد تمت كتابته في عام ١٥٥٠ قبل الميلاد تقريبًا .

الجسم ؛ كسحب الدم والقيح أو الصديد ، وكذلك استخدمت الحجامة لعلاج العديد من الأمراض [١] . وبعد ذلك استخدمت كؤوس الهواء لعلاج مرضى الدرن ، والسعال المزمن ، ولمعالجة لدغات الأفاعي السامة [٢] .

كما وجدت رسوم لكؤوس الهواء على سراديب ومقابر قدماء المصريين ومعابدهم ؛ حيث ظهرت في العديد من الجداريات والنقوش الفرعونية القديمة رسوم لكؤوس الحجامة وأدوات التشريط بين الأدوات الطبية التي استخدمها الطبيب المصري القديم ؛ على سبيل المثال توجد على نقوش معبد (كوم أمبو Kom Ombo) – الذي كان يمثل أكبر مشفى في ذلك العصر – صورة لكأس يستخدم لسحب الدم من الجلد . وقد مارس المصريون هذا النوع من العلاج بتوسع وكانوا يقيمون الحمامات العامة لإجراء عمليات التنظيف ، والتطهير الطقوسية ؛ مصحوبة بعملية الحجامة لغرض الاستشفاء . كما سجلت الآثار أن المينويين (Minoans) [٣] والسومريين كانوا يقيمون أيضًا تلك

(١) King, Lester S (1971) : A History of Medicine, p. (193-201) Penguin Books, England.

(٢) Chirali I Z (1999) : Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

(٣) هم أهل حضارة جزيرة كريت القديمة الذين عاشوا خلال الفترة من ٣٠٠٠ إلى ١١٠٠ ق . م .

الحمامات العامة ؛ ويجرون فيها عمليات الحجامة بشكل روتيني طلبًا للصحة والنظافة معًا .

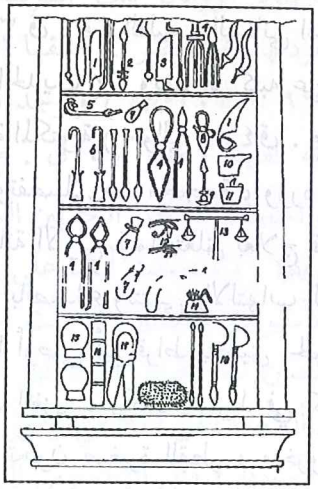

صورة (١) : رسم على مدخل معبد كوم أمبو Kom Ombo بالأقصر ؛ حيث تُظهر الرسوم منضدة تعرض مجموعة من الأدوات الطبية ؛ منها كؤوس الحجامة ، ومجموعة من المباضع والملاقط الطبية . والرسوم الجدارية تُبرهن على استخدام الطبيب المصري القديم للحجامة وكونها من وسائل العلاج التي ارتبطتْ بالمعبدِ الفرعوني [١]

بعد ذلك انطلقت الحجامة من وادي النيل لتصل إلى أنحاء العالم ؛ حيث انطلق هذا الفَن القديم مِن المصريين القدماء إلى كافة الحضارات والتجمعات البشرية . فبعد أن مارس المصريون القدماء هذا النوع من العلاج بتوسع وظهرت

(١) Ebeid N I (1999) : Egyptian Medicine in the Days of the Pharaohs; p. 132 General Egyptian Book Organization.

فعاليته العلاجية ؛ نقله عنهم الكثير من الدول المجاورة حتى وصل إلى الأطباء اليونانيين ؛ فقد وردت الحجامة بنوعيها الجاف والرطب في كتابات أبو قراط (Hippocrates) (٤٦٠ - ٣٧٧ ق . م) الطبيب اليوناني الشهير والمعروف بـ (أبو الطبِّ الحديث) . ويُعد ما كتبه عن الحجامة أقدم النصوص الطبية المكتوبة (حوالي ٤٠٠ق . م) التي تحدثت بشكل واضح وتفصيلي عن الحجامة ، وورد فيها أن إخراج الدم يحتل المكانة الأولى فيما يتعلق بعلاج قائمة طويلة من الأمراض ؛ تبدأ بالصداع وتنتهي بالالتهاب الرئوي والسكتة الدماغية . كما أوصى أبو قراط بتطبيق الحجامة الجافة في حالات الطمث الغزير ، وكان يشترط في كؤوس الحجامة (المحاجم) أن تكون صغيرة القطر ، مخروطية الشكل ، وخفيفة الوزن وخاصة عندما يكون المرض المعالج متركزًا في الأعماق [١] .

وكان أبو قراط يقسم الطب العلاجي إلى نوعين : طب الصوم ، وطب الإخراج ؛ ومنه إجبار المريض على التقيؤ ، وتناول المسهلات للتخلص من المواد المؤذية التي سببت المرض . وكانت الحجامة مع الإدماء أحد وسائل الإخراج ؛ حيث تخلص الجسم من الدم الفائض عن طريق فتحات بسيطة وسطحية في الجلد ، وقد ظل أتباعه يطبقون الحجامة لمعالجة

(١) Chirali I Z (1999) : Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

المصابين بالتهاب اللوزتين وعسر الطمث ، وغيرها من العلل لمدة طويلة .

وقد نقل الجنود الرومان تلك الطريقة العلاجية إلى بلادهم إبان عودتهم من مصر . فطبقها الطبيب اليوناني جالينوس (١٣١ - ٢٠٠ق.م) وتوجد أدلة نصية على ذلك في كتاباته العتيقة (نحو ١٥٠ق . م) [١] .

كما كانت الحجامة علاجًا رائجًا بين السكان الأصليين للأمريكتين وأفريقيا ، واستعملت أيضًا على نطاق واسع من قبل المعالجين الآسيويين التقليديين ؛ حيث استعمل التداوي بالحجامة في الصين منذ القرن الثالث قبل الميلاد . ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا الفن العلاجي وصل إلى الصين عن طريق القبائل الآسيوية ؛ مثل الهكسوس التي كانت تنتقل من مصر إلى آسيا حاملين معهم أخبار العلم والطب في مصر القديمة . وكَانَت الحجامة - ولم تزل - أحد أشهر فروع الطب الصيني التقليدي الذي يرتكز على العلاجات التقليدية الغير دوائية ، والتي تحظى بسمعة محلية وعالمية كبيرة ؛ فالحجامة إلى جانب الإبر الصينية تعد أهم ركائز الطب الصيني التقليدي حتى الآن [٢] .

(١) Bayfield S . (1839): A Practical Treatise on Cupping. Joseph Butler, London, (51-52).

(٢) Yang J (1999): The History of Cupping Therapy: Zhonghua Yi Shi Za Zhi. The Institute of Basic Theory of TCM, China Academy of TCM, Beijing Apr 29; (2): 82-4.

واستمرتْ شعبية الحجامة خلال العصور الوسطى وازدهرت ممارستها في كافة أنحاء أوروبا ؛ حيث كانت تمارس من قِبل الحلاقين إضافة إلى الأطباء . وقد عرف العرب القدماء الحجامة أيضًا تأثرًا بالمجتمعات المحيطة وكانت من أعمدة الطب العربي التي نالت عظيم الشرف حين أوصى بها رسول اللّه ﷺ ، بل ورفعها على ما سواها من أسباب الشفاء بقوله ﷺ : « **خير ما تداويتم به الحجامة** » (١) ؛ لهذا السبب حظيت الحجامة بتقدير وإعجاب كافة المجتمعات الإسلامية ، استنادًا إلى تزكية النبي الأعظم محمد ﷺ لها وتوصيته بها في أكثر من حديث صحيح . كما وردت الحجامة في كتب العديد من الأطباء المسلمين الأجلاء ؛ مثل : الطبيب الشهير ابن سينا (Avicenna) (٩٨٠ - ١٠٣٧م) والرازي (٨٦٥ - ٩٢٥م) والزهراوي (٩٣٦ - ١٠١٣م) وابن القف المتوفى سنه ٦٨٥هـ .

* * *

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٩٦) في كتاب الطب ، باب : الحجامة من الداء .

الحجامة في عصر النهضة

ازدهر فن الحجامة في عصر النهضة مع ازدهار حمامات البُخار العامةِ في القرنين السادس والسابع عشر ، وفي أغلب الأحيان كان الخدم في تلك الحمامات مسؤولين عن تقديم خدمة الحجامة للزبائن ، وكانت عملية الحجامة تتم عادّة فور الانتهاء من حمام البخار مسبوقة في أغلب الأحيان بعملية التدليك .

وتقول الوقائع التاريخية أن الحجامة كانت معروفة ورائجة ضمن الممارسات الطبية في كافة أنحاء أوروبا (١) ، كما استمر استعمال الحجامة على نطاق واسع في الولايات المتحدة في القرنين الثامن والتاسع عشر (٢) . وكانت هذه المُعالجة تُعرف بالديدان الميكانيكية (Mechanical Leeching) نسبةً إلى المعالجة بديدان العلق الطبي (Leeches) . وكانت

(١) Bruce Bentley : ' Health Traditions. Australia 2002.

(٢) Ackerknecht EH (1973): Therapeutics from the Primitives to the 20th Century. New York: Hafner.

الجرائد اليَومِيَّة والمجلات الدورية في ذلك العصر تنشر تعليمات شاملة متعلقة بعملية الحجامة على نحو مُسْهَب ومُفَصل ؛ حيث كانت تستفيض في شرح الشروط اللازمة لأداء عملية الحجامة . كما استمر الأطباء والجرَّاحون الأوروبيون والأمريكان في استخدام الحجامة مع الإدماء (الرطبة) لمُعَالَجَة مجموعة من الأمراض حتى نهاية العام الـ ١٨٦٠م . وبعد العام ١٨٦٠م ، انخفضت شعبية الحجامة مع الإدماء (الرطبة) ، وتحول الاهتمام الشعبي والطبي إلى المزايا العلاجيةِ للحجامة الجافة . ولكن على الرغم من ذلك لَمْ تَهْبط ممارسة الحجامة الرطبة حتى بداية القرن العشرين ، إلا أن اختفاءها كَانَ تدريجيًّا ولا يَكَادُ يُلحظ [١] .

* * *

(١) Chirali I Z (1999) : Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

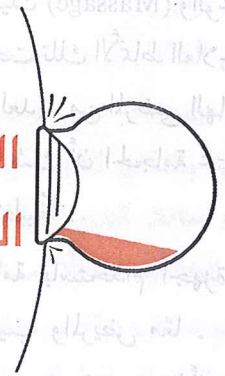

الحجامة في الطب الحديث

مع تطور التقنيات الطبية الحديثة ، تبدو الحجامة طريقة علاجية عتيقة وبدائية بل بالية أيضًا ، ولكن على الرغم من ثورة الطب الحديث وما استحدث فيه من طرق العلاج إلَّا أن ممارسة الحجامة ظلت بارزة بين الممارسات العلاجية الشعبية ولم تختفِ يومًا من حياة الناس ؛ وإن اختفت عن أذهان الأطباء . وإلى اليوم – وبالرغم من أن الحجامة لَمْ تعُد من بين العلاجات الموصى بها مِن قِبل الأطباء – يقبل الكثيرون من المرضى في العديد من بلدان العالم على التداوي بالحجامة للتعامل مع بعض مشكلاتهم الصحيةِ ؛ كصورة من صور العلاج البديل [١] ، والتي تشمل العلاج بالعطور (Aromatherapy) ، والعلاج الانعكاسي (Reflexology) ، والعلاج بتقويم العمود الفقري

(١) يقصد بالعلاج البديل مجموعة من العلاجات البديلة عن الدواء المصنع كيميائيًا ، والأصح أنها مجموعة في العلاجات التكميلية أو المساندة للعلاجات الطبية المعروفة وليست بديلًا عنها .

(ehiropractic) ، والعلاج بالتدليك (Massage) والوخز بالإبر (Acupuncture) ؛ حيث أصْبَحت تلك الأنماط العلاجية أكثر رواجًا وشعبيةً بعد أن اجتذبت العديد من المرضى الهاربين من جحيم العقاقير الكيميائية . ولا شك أن الحجامة تحتل موقعًا بارزًا بين هذه الوسائل تعليمًا وتطبيقًا .

حيث تمارس عملية الحجامة باستخدام أجهزة حديثة تيسر عملية الحجامة على الطبيب والمريض معًا .

لقد تَغيَّر الوعي الصحي مع بزوغ فجر الألفية الثالثة للميلاد ، كما تغير الوعي العامُّ أيضًا بفضل وسائل الإعلام الجديدة والشبكة العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت) والمحطات الفضائية ؛ حيث أسهمت تلك الوسائل في التعريف بمخاطر استخدام الأدوية الغير مُرشد ، وأطلعت الناس على أنماط وخيارات جديدة في العلاج والاستشفاء ترتكز على الوسائل الطبيعية وتبتعد ما أمكن عن التعامل مع الأدوية والمركبات الكيميائية المصنعة . كما تكررت دعوات منظمة الصحة العالمية إلى نبش التراث العالمي للشعوب ؛ علَّنا نجد في بعضه ما يفيد في علاج بعض ما استعصى على العلم الحديث من أمراض .

وعلى هذا النحو عادت الحجامة إلى الساحة العلاجية ؛ ولكن في ثوب عصري جديد يختلف عن الشكل التقليدي الذي ظل مزدهرًا على المستوى الشعبي في البوادي والمناطق

الريفية . واليوم تنتشر ممارسة الحجامة بطريقة عصرية في كثير من البلاد الأوروبية وعدد من الولايات الأمريكية .

وبهذا يتبين أنه على الرغم من التطور المستمر في أدوات التشخيص والعلاج الطبية ، وما يستحدث كل يوم في مجال العلاج ؛ حافظ التداوي بالحجامة على بقائه ووجوده على الخارطة العلاجية محتلًّا مساحة تزيد وتنقص مع الزمن ؛ ولكنها لم تختفِ يومًا من خارطة التداوي . واليوم تتسع يومًا بعد يوم تلك المساحة التي لم تعد تقتصر على الممارسات الشعبية ؛ بعد أن تبنتها معاهد تعليم الطب البديل ، أو الطب المكمل والمراكز العلاجية المبنية على وسائله المتعددة ، وبعد أن نجحت الحجامة في لفت انتباه بعض كليات الطب الحديثة التي وافقت على إدخال العلاج بالحجامة كجزء من المقررات التعليمية في دورات الطب البديل . وهي دورات تدريبية توفرها بعض الكليات الطبية للخريجين ؛ لدعم معرفتهم الطبية بالمزيد من الممارسات المساندة والمتممة للمعلومات الطبية المتعارف عليها ؛ حيث تستخدم الحجامة في علاج بعض المشكلات الصحية إما بشكل منفرد أو بالتزامن مع العلاج الدوائي . وقد أثبتت هذه الممارسة تفوقها وقدرتها في علاج بعض العلل والمشكلات الصحية التي لا تنجح معها أدوات الطب الحديث ؛ إذ ليس بوسع أحد إنكار الأثر العلاجي الرائع الذي تقدمه الحجامة في علاج الصداع والشقيقة . وتاريخيًا وإلى اليوم لا يمكن الاختلاف حول دور الحجامة في التخلص

(ehiropractic) ، والعلاج بالتدليك (Massage) والوخز بالإبر (Acupuncture) ؛ حيث أصْبَحَت تلك الأنماط العلاجية أكثر رواجًا وشعبيةً بعد أن اجتذبت العديد من المرضى الهاربين من جحيم العقاقير الكيميائية . ولا شك أن الحجامة تحتل موقعًا بارزًا بين هذه الوسائل تعليمًا وتطبيقًا .

حيث تمارس عملية الحجامة باستخدام أجهزة حديثة تيسر عملية الحجامة على الطبيب والمريض معًا .

لقد تَغيَّر الوعي الصحي مع بزوغ فجر الألفية الثالثة للميلاد ، كما تغير الوعي العامُّ أيضًا بفضل وسائل الإعلام الجديدة والشبكة العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت) والمحطات الفضائية ؛ حيث أسهمت تلك الوسائل في التعريف بمخاطر استخدام الأدوية الغير مُرشد ، وأطلعت الناس على أنماط وخيارات جديدة في العلاج والاستشفاء ترتكز على الوسائل الطبيعية وتبتعد ما أمكن عن التعامل مع الأدوية والمركبات الكيميائية المصنعة . كما تكررت دعوات منظمة الصحة العالمية إلى نبش التراث العالمي للشعوب ؛ علَّنا نجد في بعضه ما يفيد في علاج بعض ما استعصى على العلم الحديث من أمراض .

وعلى هذا النحو عادت الحجامة إلى الساحة العلاجية ؛ ولكن في ثوب عصري جديد يختلف عن الشكل التقليدي الذي ظل مزدهرًا على المستوى الشعبي في البوادي والمناطق

الريفية . واليوم تنتشر ممارسة الحجامة بطريقة عصرية في كثير من البلاد الأوروبية وعدد من الولايات الأمريكية .

وبهذا يتبين أنه على الرغم من التطور المستمر في أدوات التشخيص والعلاج الطبية ، وما يستحدث كل يوم في مجال العلاج ؛ حافظ التداوي بالحجامة على بقائه ووجوده على الخارطة العلاجية محتلًّا مساحة تزيد وتنقص مع الزمن ؛ ولكنها لم تختفِ يومًا من خارطة التداوي . واليوم تتسع يومًا بعد يوم تلك المساحة التي لم تعد تقتصر على الممارسات الشعبية ؛ بعد أن تبنتها معاهد تعليم الطب البديل ، أو الطب المكمل والمراكز العلاجية المبنية على وسائله المتعددة ، وبعد أن نجحت الحجامة في لفت انتباه بعض كليات الطب الحديثة التي وافقت على إدخال العلاج بالحجامة كجزء من المقررات التعليمية في دورات الطب البديل . وهي دورات تدريبية توفرها بعض الكليات الطبية للخريجين ؛ لدعم معرفتهم الطبية بالمزيد من الممارسات المساندة والمتممة للمعلومات الطبية المتعارف عليها ؛ حيث تستخدم الحجامة في علاج بعض المشكلات الصحية إما بشكل منفرد أو بالتزامن مع العلاج الدوائي . وقد أثبتت هذه الممارسة تفوقها وقدرتها في علاج بعض العلل والمشكلات الصحية التي لا تنجح معها أدوات الطب الحديث ؛ إذ ليس بوسع أحد إنكار الأثر العلاجي الرائع الذي تقدمه الحجامة في علاج الصداع والشقيقة . وتاريخيًّا وإلى اليوم لا يمكن الاختلاف حول دور الحجامة في التخلص

من التشنجات العضلية وتأثيرها كعلاج مساعد يدعم العلاج المتعارف عليه في معالجة أمراض ؛ مثل : الربو الشُّعبي ، وارتفاع ضغط الدم .

ونظرًا للعدد الهائل من المرضى الذين تمت معالجتهم بنجاح ، أدخلت بعض الجامعات الأوروبية العلاج بالحجامة في مناهجها الطبية على الرغم من البدايات غير العلمية لعملية الحجامة وارتباطها بالمجهول ، كما وجدت بعض الدول في هذا النوع من العلاج فرصة لتخفيض نفقاتها العلاجية . وهكذا بُعثت تلك التقنية القديمة من جديد في القرن الحادي والعشرين ، بعد أن تم اكتشافها علميًّا من جديد ؛ فقد لفتت التأثيرات العلاجية للحجامة انتباه الأوساط العلمية والشعبية على حدٍّ سواء وغدت محل اهتمام المرضى والأطباء معًا ، وشهدت شعبيتها ثراءً عظيمًا . ففي ألمانيا ، بين عامي (١٩٨٧م) و (١٩٩٢م) ، جرب حوالي ٣٢ إلى ٦٤ ٪ من المرضى المصابين بالتهاب المفاصل المزمن (Polyarthritis) الحجامة كأحد الإجراءات العلاجية الغير مألوفة للمعالجة [١] ؛ كما بدأ نحو ٦٠٪ من الكليَّات الطبيَّة في الولايات المتَّحدة بتعليم تقنية الحجامة وتدريسها كجزء من مناهج الطبِّ البديل ، وفي معظم البلدات والمدن

(١) Miehle W (1995): Chronic Polyarthritis-Treatment with Alternative Medicine. How Frequent is (Self-) Therapy with Alternative Methods?, Fortschr Med. 1995 Mar 10; 113 (7): 81-5.

البريطانية يُعلن عن دورات وفصول لتدريس فروع الطب البديل المختلفة ومن بينها الحجامة [١] .. كما تُمارس اليوم عملية العلاج بالاستدماء (Blood - letting) في كليَّة الطب بجامعة هارفارد (Harvard Medical School) ، ومركز جون هوبكنز الطبي (Johns Hopkins Medical Center) ، وهما اثنان مِنْ أرقى المراكز الطبية رفعةً وأكثرها تقديرًا على مستوى العالم [٢] .

وهكذا وبعد عقود من الزمان تعرض فيها هذا النوع من العلاج لظلم كبير وتجنيات ، تداخلت فيها شعوذة المشعوذين وسحرهم مع طب الأطباء ، اعترف بعض ممارسي الطب الحديث بالحجامة كأحد أفضل الطرق الطبيعية للتعامل مع بعض الأمراض دون آثار جانبية وبأقل التكاليف الممكنة . تحولت النظرة إلى الحجامة من (دجل وشعوذة) إلى أحد المعالجات البديلة الأكثر احترامًا في كلٍّ من أمريكا وأوروبا ؛ بعد أن اكتسب تعليم المعالجات البديلة وجهًا ومعنًى جديدين ، وباتت هناك معاهد مختصة تُخرج ممارسي الحجامة المحترفين واختصاصي الطب البديل في

(١) Eisenberg DM, Davis RB, Ettner SL, Appel S, Wilkey S, Van Rompay M et al (1998) : Trends in Alternative Medicine Use in the United States 1990-97. JAMA 280: 1569.

(٢) Skaar E (2004) : Why Blood Letting May Actually Worked. Science , Sept . vol : 305 pp 1626 - 1628 .

أوروبا والولايات المتّحدة ، والصين واليابان .

ليس هذا فحسب ؛ بل إن الاستخدام العصري للحجامة والتفكير في تلك الوسيلة العلاجية بعقل جديد أسهم في ظهور استخدامات جديدة لفكرة الحجامة ؛ حيث تستخدم كؤوس الهواء في مراكز التجميل الغربية ؛ كأحد طرق تنشيط الدورة الدموية في الجسم وأيضًا كوسيلة للتخلص من الدهون المتجمعة تحت الجلد (السليوليت) ، والتجاعيد وإنعاش الدورة الدموية في الجلد لعلاج مشاكل البشرة التجميلية المختلفة .

وهكذا وبعد جولة طويلة عبر تاريخ الحجامة بين الشعوب ؛ حطَّ بنا بساط الريح في الألفية الثالثة بعد الميلاد .. ولهذا إننا حين نمعن النظر إلى ذلك التاريخ الموغل في القدم للتداوي بالحجامة نشم عبق أصالة لم تستطع آلاف السنوات من الزمان أن تطمسها ، أو أن تذهب بروعتها !!

* * *

الحجامة

بين العلم والأسطورة

الفصل الثاني

- كيف نُجرى عملية الحجامة ؟
- أشكال من الكؤوس (المحاجم) .
- طرق تفريغ الهواء من الكأس .
- مواضع (نقاط) الحجامة وأثرها العلاجي .
- مواضع الحجامة التي ورد أن نبينا محمداً ﷺ احتجم عندها .

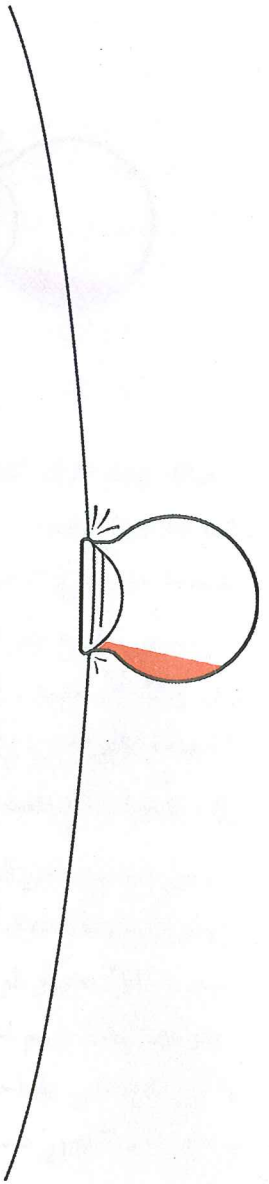

كيف نُجرى عملية الحجامة ؟

هناك عِدة طرق لتنفيذ عملية الحجامة والحصول على نتائج علاجية مُرضية . وتعتمد الطريقة التي يحددها المعالج بالحجامة على نوع المرض ، وحالة المريض الصحية وعمره .

وتَتضمن أنواع وأساليب تنفيذ الحجامة أكثر من عشرة طرق يُمْكِنُ أنْ تُصنفَ إلى نوعين رئيسيين ، تقنيات بسيطة (الحجامة المُنْفَرِدة) ، وأخرى مُركبة (الحجامة المزدوجة) .

أولاً : تقْنِيات الحجامة المُنْفَرِدة (البسيطة) :

وهي مجموعة من التقنيات (Techniques) تستخدم فيها كؤوس الهواء فقط دون أن يصاحب العملية أي وسيلة علاجية أخرى ؛ كالإدماء أو الوخز بالإبر . وتعرف هذه التقنيات في مجموعها أيضًا باسم الحجامة الجافة (Dry Cupping) تمييزًا لها عن تلك التي يصاحبها إخراج للدم من الجلد كما تُعرف في الموروث الشعبي باسم (كاسات الهواء) والمقصود بذلك

الكاسات المُفرغة من الهواء (Empty Cupping) .

وتشتمل هذه التقنيات على تطبيق كأس الهواء الماص على منطقةٍ سليمة من الجلدِ (دون وخز أو خدش لسطح الجلد) ؛ لإحداث احتقان دموي في الموضع المطلوب ، ففي هذا النوع من الحجامة يتم وضع الكأس على الموضع المحدد طبقًا لنوع المرض بدون تشريط ، فقط يقوم الكأس بمص الجلد إما بواسطة اللهب الحراري لتفريغ الهواء من داخل الكأس ، أو من خلال تفريغ الهواء بواسطة مضخة ماصة ، بعد ذلك يترك الكأس فوق الجلد لمدة تتراوح من ٣ إلى ٥ دقائق ، يتم بعدها نزع الكأس الذي يخلف مكانه دائرة حمراء على سطح الجلد تمثل بالضبط مكان فوهة الكأس .

ليس هناك قطع للجلد أو استنزاف للدم في عملية الحجامة الجافة ، وفكرة العلاج بهذه الطريقة أَنْ يتم سحب الدمِّ والسوائل البينية [١] بعيدًا عن منطقة الالتهاب وموضع الألم إلى سطح الجلد . ويعتقد الممارسون لهذه الطريقة أنها تسهم في تخفيف الاحتقان الدموي والازدحام الخلوي حول المنطقة المُلتهبة ، لكنها لا تُخرج الدم ولا تُزيل السوائل مِن الجسمِ كليًا ، فقط تزيحها بعيدًا عن موضع الالتهاب

(١) السوائل المتغلغلة في الأنسجة وبين الخلايا ؛ التي يتم من خلالها تبادل المواد المغذية للخلايا كما تحمل تلك السوائل مخلفات العمليات الحيوية التي تتم داخل الخلية . وقد عبر عنها الأطباء القدامى باستخدام مصطلح «الأخلاط الرديئة» .

وهذا قد يساعد على اختفاء جزء كبير من الألم .

ويُمْكِنُ أَنْ تُثبت كؤوس الحجامة على مناطق معينة من الجلد تُعرف بنقاط ردِّ الفعل الانعكاسي (Reflex Zones) التي يتوزع معظمها على الظهر . وتنشيط هذه النقاط يحفز جريان وتدفق الدم إليها مما يحفزُ هذه الأنسجة وبالتالي الأحشاء الداخلية التي يُعتقد أنها تتصل عصبيًا بهذه المناطق من الجلد وأن هناك نوعًا من المُرَاسَلَة العصبية بين تلك النقاط على سطح الجلد وبين أحشاء الجسم الداخلية . كما أن الضغط السلبي المتولد داخل الكؤوسِ يَخْلق نوعًا من الكدمات البسيطة على سطح الجلد ؛ وهو ما يُمثل تهديدًا لجهاز المناعة ، الذي يَجِبُ أَنْ يَرُدَّ على الاعتداء على الجسم ممثلًا في الكدمة التي تُخلفها كؤوس الحجامة .

وتُستَعملُ هذه الطرق لمعَالَجَة الآلام الحادةِ أو المُزمنة وكذلك لتحفيز وتنشيط الدورة الدموية بشكل عام وهذه الأخيرة تتم على الظهرِ بشكل رئيسي . وتستخدم الحجامة الجافَّة عادةً للأطفال ، وكبار السن ، والمرضى ضعاف البنية ، والذين يعانون من ضغط الدم المنخفض ؛ ولا تستخدم مطلقًا في المرضى المصابين بضغط الدم العالي .

وهناك ثلاثة أشكال مِن الحجامة الجافة يَختلفُ كل منها عن الآخر طبقًا لطول أو قصر المدة الزمنية التي تُتركُ فيها الكؤوس على الجلد :

١ – **الحجامة الثابتة** : حيث تبقى الكؤوس مثبتة على الجلد إلى فترة زمنية طويلة .

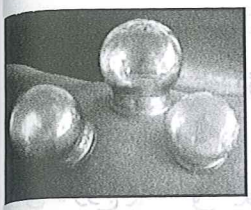

الحجامة الجافة الثابتة

٢ – **الحجامة السريعة (الوميض)** : في هذا النوع من الحجامة يُثبت الكأس فوق الجلد تثبيتًا مؤقتًا ؛ حيث تُثبت الكؤوس لفترات زمنية قصيرة جدًّا ، ثم تنزع بسرعة ، ويكرر تثبيتها ونزعها أكثر من مرة في نفس الموضع على نحو سريع ؛ ولهذا تُعرف هذه الطريقة بالحجامة التي تشبه الوميض (Flash Cupping) .

٣ – **الحجامة المُنْزَلِقة أو المتحركة** : في هذا النوع من الحجامة الجافة يتمُّ دهن الجلد بمادة زيتية [١] لتيسير تحريك الكأس فوق الجلد ، ثم يتم تفريغ الهواء داخل الكأس بشكل جزئي لتوليد قوة سحب ضعيفة نسبيًّا تسمح بمص الجلد مصًّا خفيفًا بسيطًا ، وفي ذات الوقت تسمح للمعالج بتحريك الكأس وانزلاقه في اتجاهات معينة حول الموضع المطلوب ؛ بحيث يظل الجلد تحت قوة سحب بسيطة ومتحركة ، أي أن الكأس يُحرَّكُ بينما يحرص المعالج على الإبقاء على قوة امتصاص الجلد ، وهذه التقنية تتسبب في

(١) من أشهر الزيوت المناسبة زيت الزيتون أو زيت النعناع .

إحداث تنشييط موضعي للجلد والعضلة المطلوب علاجها ؛ وذلك من خلال عملية السحب التي تهدف إلى جذب الدم من العضلات وتجميعه في طبقة الجلد ؛ لذا تستخدم هذه الطريقة عندما تكون المنطقة المطلوب علاجها واسعة كعضلات الظهر ؛ ولهذه التقنية ارتباط وثيق ببَعْض تقنياتِ التدليك ؛ مثل القرص السريع للجلدِ على طول الظهر [١] . وقد أثبتت هذه الحجامة فعاليتها في علاج توتر العضلات .

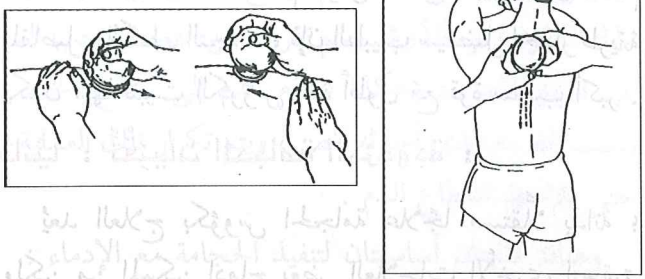

الحجامة المُنْزَلِقة أو المتحركة (٢)

(١) Jiang L (1996): A Miraculous Spinal Pinching Therapy, Journal of Traditional Chinese Medicine; 16 (3): 228, 229.

(٢) مصدر الصورة كتاب : Hua W, Qi W, Gang L: Science of Acupuncture and Moxibustion, p. 142-145, Wuhan University Press 1996.

والطبيب المعالج هو الذي يُقرر نوع الحجامة وكيفية ومدة استعمال الكؤوس ؛ على سبيل المثال ، إذا كان المريض طفلًا مصابًا بالربو الشعبي ، فسيختار الطبيب طريقة (الحجامة السريعة) نظرًا لرقة جلد الأطفال ؛ ولتجنب إيذاء الطفل بقوة السحب لمدة طويلة في حالة (الحجامة الثابتة) ؛ بل إن الأطفال عادةً ما يَجِدون هذه الطريقة ممتعة جدًّا ؛ حيث إن تكرار تثبيت الكؤوس ونزعها سريعًا على نحو متكرر يُصدر صوتًا يشبه صوت تفتق حبِّ الذُّرة على صفيح النار (الفيشار) !!

أما بالنسبة لحالات الألم المزمن ، على سبيل المثال : آلام المفاصل والكتف التجمد ، فإن الطبيب سيفضل اختيار طريقة يكون فيها تثبيت الكوؤس لمدة أطول مَع قوة سحب أكبر .

ثانيًا : تِّقْنِيات الحجامة المزدوجة :

يُعد العلاج بكؤوس الحجامة علاجًا مستقلًّا بذاته ؛ ولكن من الممكن إدماج بعض العلاجات الأخرى لتحقيق مزيد من الفائدة ؛ ولهذه الطريقة في العلاج حالات خاصة وجدول زمني محدد يختلف حسب الحالة المرضية ، ونوع الوسيلة المرافقة للعلاج بالحجامة .

ويتضمن العلاج بالحجامة المزدوجة إضافة أحد خمسة طرق علاجية أخرى إلى العلاج بكؤوس الحجامة ؛ تتمثل هذه الطرق في : الاستدماء (إراقة الدم) ، والإبر الصينية ؛

ولفائف الشيح « العلاج المائي .

١ – الحجامة

Cupping) [١] :

إضافة إلى الحجامة الهواء لفترة مناسبة تحت سطح الج

الحجامة الرطبة عن ... ومن بعد ذلك يتم تعقيم سطح الجلد بالمطهرات الطبية ، ثم إحداث وخزات (ثقوب) أو خدوش على سطح الجلد ، ثم يوضع الكأس من جديد فوق الجلد المثقوب أو المخدُوش ويتم تفريغه من الهواء لسحب الدم عن طريق المص ، وهكذا يندفع الدم إلى سطح الجلد ؛ بسبب التفريغ الذي أحدثه المص ، ويتم تكرار تلك العملية ، حتى يلاحظ انقطاع الدم .

وهناك تقنيتان أساسيتان لتنفيذ الحجامة مع الإدماء :

– **الحجامة الرطبة على العناكب الوعائية** : هذه الطريقة تتضمنُ ثَقب (piercing) أو وخز الأوعية الدموية المعروفة باسم « العناكب الوعائية Spider Nevi » [٢] عن طريق

، ومن ثم إخراج الدم
يل على حلحلة
الدم الراكد
ها

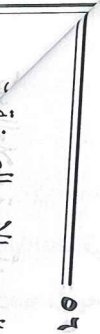

(١) تُعرف أيضًا بالحجامة الرطبة للتمييز بينها وبين الحجامة الجافة .

(٢) أوعية سطحية صغيرة جدًّا التي تظهر في أماكن محددة على سطح الجلد بحيث تبدو الشعيرات الدموية داكنة اللون ومرئية تحت الجلد في أماكن لا يُفترض تواجدها فيها .

الوخز بالإبر الصينية ، ثم تصريف الدم خارجها بواسطة كأس الحجامة ؛ حيث يتم وخز المنطقة المختارة بواسطة إبرة معقمة ، ثم يتم تثبيت الضغط السلبي (المص) على نفس المنطقة من الجلد الأمر الذي يؤدي إلى إجبار الدم المحتقن على التدفق خلال الجلد الموخوز .

– **الحجامة الرطبة على المناطق الجلديَّة** : في هذه الطريقة ، بدلًا مِن ثقب العناكب الوعائية لنزح الدمِّ ، يتم إحداث خدوش سطحية (Scarification) [1] تتركز جميعها حول مِنْطَقة معينة (نقطة) مِنْ سطح الجلدِ (عادة على الظهرِ ، لكن أحيانًا على الكتفين أو السيقان أو أي مكان آخر) تسمح هذه الخدوش بنزح كمية صغيرة مِن الدمِّ بعد تطبيق الكأس من جديد فوق الجلد المخْدُوش وتفريغه من الهواء ؛ حيث يندفع الدم من الشعيرات والأوردة الصغيرة إلى سطح الجلد ، بسبب التفريغ الذي أحدثه المص ، ويتم تكرار تلك العملية ، حتى يلاحظ انقطاع الدم .

وكما في المعالجة بديدان العلق الطبي (Leeches) ؛ يُعتقد أن الاستخدام المتكرر لكأس الحجامة يؤدي إلى التخلص من الفضلات السمية الموجودة تحت الجلد ؛ إذن فهذه الطريقة تعمل من خلال جذب الدم إلى سطح الجلد ما يُسببُ زيادة

(١) يُشترط أن تكون الخدوش سطحية للغاية لا تتجاوز الطبقة الخارجية من الجلد بعمق قليل جدًّا نحو ١,٠ مم ، وبطول ٤ مم تقريبًا ، وعددها ١ شرطة أو أكثر أو أقل ، موزعة على ٣ صفوف .

في حركة الدمِّ إلى منطقة الحجامة ، ومن ثم إخراج الدم بمصه من خلال كأس الحجامة الذي يعمل على حلحلة الاحتقان الدموي ؛ وبذلك يتخلص الجسم من الدم الراكد أو المواد السامة التي يتوجب إخراجها من الجسم .

ولهذا تُستخدم هذه الطريقة في الحالات التي ترافقها علامات الاحتقان الدموي أو الركود الدموي (Blood Stasis) والحالات التي يبدو فيها أن من المفيد طرح كمية من الدم خارج الجسم . وقد استخدمت هذه الطريقة منذ القدم لسحب السموم من لسعات الحيات وغيرها من الإصابات الجلدية .

الحجامة الدامية (الحجامة مع الإدماء)

ويجدر التنبيه إلى أن الحجامة مع الإدماء هي تقنية مختلفة تمامًا عن عملية الفصادة أو الفصد وهي شق أو قطع العرق أو الوريد لاستخراج الدم ، فالحجامة تُجرى بتشريط الجلد وليس شق العرق ؛ لهذا تُعد الحجامة مع الإدماء نوعًا

الإبرةِ أو الرمادِ .

عندما ينتهي الوقت اللازم للحجامة ؛ يُرفع الكأس بلطف ، وقبل إزالة الإبرةِ توضع صينية تحت الإبرةِ ويُنقرُ على قاعدتِها بلطف ليُنفض الرماد .

يُخفف العلاج بهذه الطريقة من آلامِ المفاصل وآلام الظهر ، وأيضًا من الأعراض المصاحبة لنزلات البرد . كما تُسهم أيضًا في معالجة حالات التبول اللاإرادي (التبول بالفراش) وتحسين بعض المشكلات الجنسيةِ ؛ كالعُنَّة (العجز الجنسي) . كما ويستعملُ ممارسو الوخز بالإبر هذا النوع من الحجامة للتخفيف من أعراض الزكام والإنفلونزا .

٤ – الحجامة مع الأعشاب الطبية (Herbal Cupping) :

تُستخدم هذه الطريقة عادة لعلاج الأوجاع الناتجة عن تصلب عضلات الرقبةِ والكتفين . علاوة على ذلك ، فهذه الطريقة فعَّالة في علاج الأعراض المصاحبة للزكام العادي ، وتستخدم أيضًا للتخفيف من نوبات الربو والسعالِ .

وتَتطلبُ هذه الطريقة استخدام كؤوس مصنوعة من الخيزران (خشب البامبو) ؛ لأن الكؤوس الزجاجية تُصبحُ حارة جدًّا ؛ ولذا فهي لَيست مناسبة لهذه الطريقة ، وتتطلب أيضًا إناء عميق ، وكمية من الماء ، ومشابك أو ملاقط معدنية ، ووصفة عشبية حسب الحالة المرضية .

تُغمر الأعشاب ، وكؤوسَ الخيزران في وعاء عميق ممتلئ

بالماء ؛ ويُغلى الماء لمدة (٣٠ دقيقة) . ثم يُرفع كأس واحد مِن الماء المغلي بواسطة مشبك (ملقاط) معدني ، عندما يَضْمن المُعالِج أنَّ الكأسَ لَيسَ حارًّا جدًّا ، ويتأكد أن درجة حرارته مناسبة ؛ يقوم بتثبيت الكأس بالطريقة التقليدية ، أي باستعمال اللهب وقطعة من القطن أو الصوف .

والفكرة في هذه الطريقة تقوم على استخدام الحرارة ؛ لفتح مسام الجلد ، والسماح بنفاذ المادة العلاجية الفعالة – التي يحملها بخار الماء المغلي مع الوصفة العُشبية – إلى جسم المريض من خلال الشعيرات الدموية المتواجدة بغزارة تحت الجلد ، والتي تعمل الحرارة على تحفيز وتنشيط جريان الدم فيها ؛ كما تساعد قوة السحب التي تولدها كؤوس الخيزران في جذب الدم إلى موضع الكأس من الجلد ؛ حيث يمتص الجلد البخار المشبَّع بالأعشاب العلاجية ، حيث يُعد الجلد العضو الأكبر حجمًا في الجسم ؛ ومعظم المواد التي نضعها على الجلد تدخل إلى الدم ؛ وبذلك تنتقل الخواص العلاجية إلى جسم المريض .

وهذه الطريقة لا تُستخدم كثيرًا ؛ نظرًا لأنها تَتطلب وقتًا طويلًا للإعداد والتحضير كما تحتاج وقتًا طويلًا للتنفيذ أيضًا ؛ لذلك فهي طريقة لَيسَت عملية خاصة بالنسبة لعيادة تزدحم بالمرضى .

٥ – الحجامة المائية (مع العلاج المائي) (Water Cupping) : تَتطلبُ المعالجة بالحجامة المائية معالجاً متمرسًا ومجرِّبًا . ففي هذه الطريقة يقوم المعالج بملء ثلث كأس من الخيزران أو الزجاج بالماءِ الدافئ ، ثم يُواصلُ عملية تثبيت الكأس بالطريقة التقليدية ولكن بسرعة فائقة حتى لا ينسكب الماء خارج الكأس . قد يصعب تصور ذلك ؛ ولكن عندما تؤدَّى الخطوات بخفة وسرعة لا يَحْدثُ انسكاب للماء . وأما إذا تم التطبيق بشكل صحيح ولكن ببطء ، فإن انسكاب بَعْض الماء يكون حتميًّا بلا شك .

وهذه الطريقة مفيدة للتخلص من السعال الجاف ، ونوبات الربو الشُّعَبي ، كما أنها مفيدة للتخفيف من حدة الآلام الروماتزمية ، والمفاصل المتورمة ، ولعلاج الألم بشكل عام .

* * *

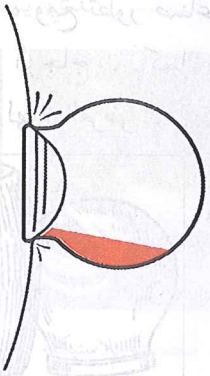

أشكال من الكؤوس (المحاجم)

لقد تطورت أدوات الحجامة كثيرًا عبر الزمن . فقديمًا كان كأس الحجامة (المحجم) يُصنع من أي أداة مجوفة ذات فوهتين ، ويظهر من الوقائع والصور التاريخية أن أول شكل عُرف لكأس الحجامة كان مصنوعًا من قرون الحيوانات – كقرون الثيران والأغنام – حيث كانت تفرَّغ لتصبح مجوفة مع حفر ثقب عند طرفها المدبب يتم من خلاله سحب الدم إلى خارج الجسم بامتصاصه بواسطة الفم ؛ حيث توضع الفوهة الواسعة على الجلد فوق المكان المحدد لتنفيذ الحجامة من ثم يسحب الهواء من الفوهة الثانية ، وذلك بمصه بواسطة الفم .

ثم تطورت صناعة كؤوس الحجامة مع تطور الحياة الصناعية ؛ فصُنعت عدة أنواع من الكؤوس لاستخدامها في عملية الحجامة ؛ وظهرت الكؤوس الخشبية التي تصنع من خشب البامبو (الخيزران) ، كما استخدمت الشعوب

القديمة الكؤوس المصنوعة من الخزف ، والكؤوس المعدنية المصنوعة من المعادن كالنحاس ، ومع تطور صناعة الزجاج صُنعت كؤوس الحجامة من الزجاج . كما استعملت كؤوس الشرب التقليدية أيضًا لهذا الغرض .

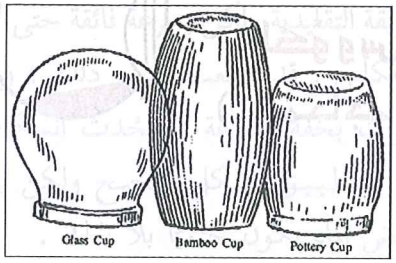

كؤوس الحجامة التقليدية

أما اليوم فتتوفر كؤوس عملية مصنوعة من البلاستيك ومزودة بصمامات داخلية تعمل على منع تسريب الهواء إلى الكأس بعد سحبه بمضخة يدوية (أداة امتصاص) أو بواسطة المضخات الكهربائية المتوفرة أيضًا ؛ مثل جهاز الـ (Acupoint Cupping) الكهربائي الذي يمكن بواسطته التحكم في كمية التفريغ المطلوبة ، وبالتالي يُمْكِنُ أَنْ تَخْضَعَ عملية سحب الجلد للسيطرةَ طبقًا للموضع الذي تتم فيه الحجامة ، وبالتالي يمكن أداء عملية الحجامة بطريقة أكثر أمنًا وبدون إيذاء الجلد .

كما تتوفر مجموعة (طاقم) حجامة ؛ وهي عبارة عن مجموعة من كؤوس الحجامة متعددة الأحجام ؛ يحتوي كل كأس منها على صِمَام (بلف) في أسفله لسحب

وتفريغ الهواء ، وتتوفر هذه المجموعة في حقيبة خاصة بالإضافة للمكبس الذي يسحب الهواء من الكؤوس .

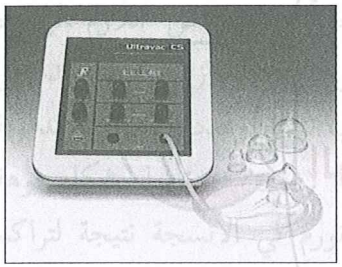

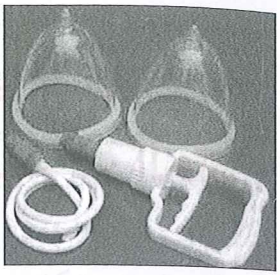

إلى اليمين : مجموعة بلاستيكية مكونة مِنْ كؤوس مزودة بصمامات ومضخة وخرطوم مطاطي وإلى اليسار : جهاز الحجامة الكهربائي

* * *

القديمة الكؤوس المصنوعة من الخزف ، والكؤوس المعدنية المصنوعة من المعادن كالنحاس ، ومع تطور صناعة الزجاج صُنعت كؤوس الحجامة من الزجاج . كما استعملت كؤوس الشرب التقليدية أيضًا لهذا الغرض .

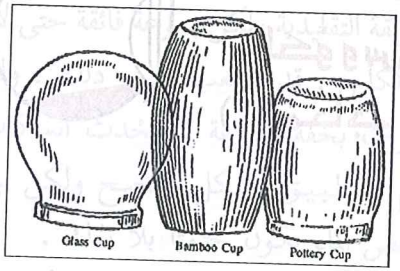

كؤوس الحجامة التقليدية

أما اليوم فتتوفر كؤوس عملية مصنوعة من البلاستيك ومزودة بصمامات داخلية تعمل على منع تسريب الهواء إلى الكأس بعد سحبه بمضخة يدوية (أداة امتصاص) أو بواسطة المضخات الكهربائية المتوفرة أيضًا ؛ مثل جهاز الـ (Acupoint Cupping) الكهربائي الذي يمكن بواسطته التحكم في كمية التفريغ المطلوبة ، وبالتالي يُمْكِنُ أَنْ تَخْضَعَ عملية سحب الجلد للسيطرةَ طبقًا للموضع الذي تتم فيه الحجامة ، وبالتالي يمكن أداء عملية الحجامة بطريقة أكثر أمنًا وبدون إيذاء الجلد .

كما تتوفر مجموعة (طاقم) حجامة ؛ وهي عبارة عن مجموعة من كؤوس الحجامة متعددة الأحجام ؛ يحتوي كل كأس منها على صِمَام (بلف) في أسفله لسحب

وتفريغ الهواء ، وتتوفر هذه المجموعة في حقيبة خاصة بالإضافة للمكبس الذي يسحب الهواء من الكؤوس .

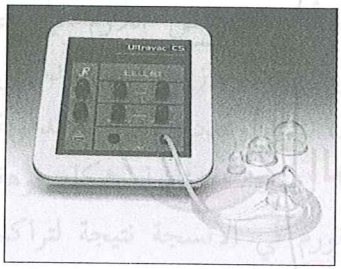

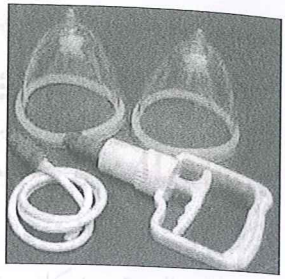

إلى اليمين : مجموعة بلاستيكية مكونة مِنْ كؤوس مزودة بصمامات ومضخة وخرطوم مطاطي وإلى اليسار : جهاز الحجامة الكهربائي

* * *

القديمة الكؤوس المصنوعة من الخزف ، والكؤوس المعدنية المصنوعة من المعادن كالنحاس ، ومع تطور صناعة الزجاج صُنعت كؤوس الحجامة من الزجاج . كما استعملت كؤوس الشرب التقليدية أيضًا لهذا الغرض .

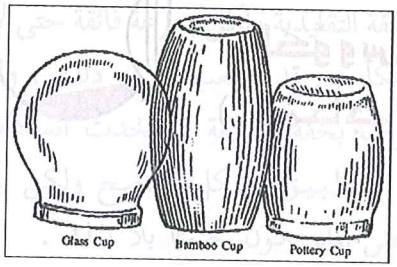

كؤوس الحجامة التقليدية

أما اليوم فتتوفر كؤوس عملية مصنوعة من البلاستيك ومزودة بصمامات داخلية تعمل على منع تسريب الهواء إلى الكأس بعد سحبه بمضخة يدوية (أداة امتصاص) أو بواسطة المضخات الكهربائية المتوفرة أيضًا ؛ مثل جهاز الـ (Acupoint Cupping) الكهربائي الذي يمكن بواسطته التحكم في كمية التفريغ المطلوبة ، وبالتالي يُمْكِنُ أَنْ تَخْضَعَ عملية سحب الجلد للسيطرةَ طبقًا للموضع الذي تتم فيه الحجامة ، وبالتالي يمكن أداء عملية الحجامة بطريقة أكثر أمنًا وبدون إيذاء الجلد .

كما تتوفر مجموعة (طاقم) حجامة ؛ وهي عبارة عن مجموعة من كؤوس الحجامة متعددة الأحجام ؛ يحتوي كل كأس منها على صِمَام (بلف) في أسفله لسحب

وتفريغ الهواء ، وتتوفر هذه المجموعة في حقيبة خاصة بالإضافة للمكبس الذي يسحب الهواء من الكؤوس .

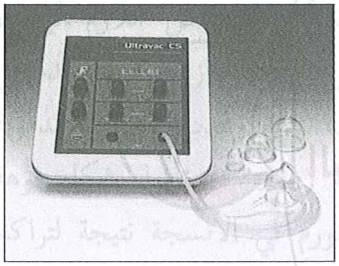

إلى اليمين : مجموعة بلاستيكية مكونة مِنْ كؤوس مزودة بصمامات ومضخة وخرطوم مطاطي وإلى اليسار : جهاز الحجامة الكهربائي

* * *

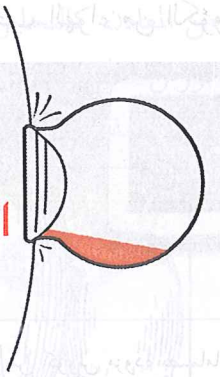

طرق تفريغ الهواء من الكأس

يمكن تقسيم الطرق المستخدمة لتفريغ الكأس وخلق ضغط سلبي داخله إلى نوعين اعتمادًا على طريقة الأداء :

١- الطريقة التقليدية « حجامة اللهب » :

في هذه التقنية ، يتم تفريغ الهواء داخل الكأس بواسطة اللهب ؛ حيث يقوم المعالج بإشعال قطعة من القطن المغموس في الكحول ، أو عُشبة علاجية ، أو ورقة ، ثم يدخل تلك الشعلة الصغيرة من اللهب – قبل أن تحرق كليًا – في جوف الكأس لتفريغ الكأس من الهواء حيث تستهلك القطنة أثناء اشتعالها كل الهواء داخل الكأس ، وبسرعة خاطفة يوضع الكأس مقلوبًا فوق المنطقة من الجلد التي تم اختيارها على أن يكون الموضع مستوٍ نسبيًا فوق سطح الجسم ، ويُترك الكأس ليبرد على سطح الجلد مدة تتراوح من خمسة إلى عشر دقائق ؛ حيث تعمل شعلة اللهب على استهلاك الأوكسجين داخل

الكأس ، وإحداث ضغط سلبي (ve Pressure) يؤدي إلى جذب سطح الجلد لأعلى باتجاه الكأس ، وهكذا يَبدأ الكأس بسحب الجلد بلطف محدثًا الامتصاص اللازم لإجراء الحجامة ؛ وهذا الامتصاص يُؤدِّي إلى زيادة تدفق الدمِّ في المنطقةِ واحمرار الجلد بسبب توسع وتمدد الشعيرات الدموية تحت الجد ، وتكون وذمة (Edema) تأخذ شكل فوهة الكأس ؛ وهي عبارة عن تورمِ في الأنسجة نتيجة لتراكم السوائل البينية بشكل مفرط في فراغات النسيج ، كما تَتضمّنُ نَتائِج تطبيق كأس الحجامة حدوث كدمة أي تجمع دموي تحت الجلد (Ecchymoses) وهو عبارة عن تغيير في لون الجلد إلى اللون الإرجواني بسبب تمزق الأوعية الدموية .

كما يمكن تنفيذ هذه الطريقة عن طريق صب سائل قابل للاشتعال ؛ كالكحول على جدار الكأس بحيث يشكل طبقة سطحية خفيفة تبطن الكأس ثم إشعال اللهب داخلها بسرعة ، وبشكل خاطف يوضع الكأس فوق الجلد . ويجب الاحتراز وأخذ الحيطة عند اعتماد هذه الطريقة ؛ لتَجَنُّب حرق جلد المريض باللهب ؛ كما أن حافة المحجم يَجِبُ ألَّا تُسَخن باللهب المباشر كي لا يتأذى جلد المريض .

وتعرف هذه الطريقة بالحجامة باستخدام اللهب « The Fire Cupping Method » أو الحجامة التقليدية « Traditional Cupping » نظرًا لكونها الطريقة الشعبية المتعارف عليها منذ عصور بعيدة .

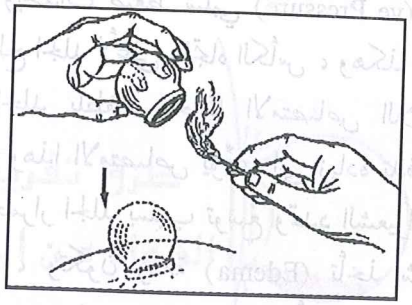

الحجامة باستخدام اللهب (١)

٢ – الطريقة الحديثة « تفريغ الهواء بواسطة مضخة » :

وهناك طريقة أخرى لتوليد الضغط السلبي داخل الكأس ؛ وذلك باستخدام آلة سحب (شفط) يدوية أو كهربائية تعمل على امتصاص وتفريغ الهواء من الكأس ؛ فمع نهاية القرن العشرين ، تم تطوير طريقة عملية وعصرية تُمكِن ممارس الحجامة مَنْ تفريغ الهواء وسحبه خارج الكأس دون الاعتماد على شعلة اللهب ، وذلك عن طريق استخدام آلة سحب (شفط) يدوية مجهزة بمضخة (مكبس) يمكن عند سحبه إحداث تفريغ للهواء دون الحاجة إلى اللهب ، والكؤوس الملحقة بهذا الجهاز مزودة بصمام مثبت في قمة الكأس ، وتتوفر بالجهاز حجومًا مختلفة للكؤوس يختار منها المعالج ما يناسب المكان الذي تم اختياره لعمل الحجامة فالصغيرة ؛ للرقبة مثلًا ، والكبيرة للظهر وهكذا .

(١) Hua W, Qi W and Gang L (1996): Science of Acupuncture and Moxibustion, p.142-145, Wuhan University press .

وباستخدام هذه التقنية يمكن تَفادي الأخطار التي قد تنجم عن استعمال اللهب . كما توفر هذه التقنية ميزة أخرى حيث يمكن بواسطتها التحكم في درجة وكمية الامتصاص ما يَسْمحُ بالسيطرة على درجة السحب المطلوبة ؛ فالمضخة اليدوية (ذات المكبس) يمكن التحكم بها بشكل أفضل من طريقة اللهب ؛ حيث بالإمكان التحكم في الضغط الناتج بواسطة اليد حسب تحمل المريض ؛ كما يمكن أن يُخفف الضغط إذا سبب أي إزعاج للمريض . وبذلك توفر هذه الطريقة مناخًا آمنًا ومريحًا لعملية الحجامة بحيث تصبح عملية مريحة للمريض . وهذه الدرجة مِن السيطرةِ لا يُمْكن الحصول عليها باستخدام الحجامة التقليدية . كما أن من حسنات الكؤوس الصغيرة (ذات الصمام) أنها تنتج قوة سحب أكبر ما يعني أنها أشد امتصاصًا للدم .

تفريغ الهواء بواسطة مضخة (١)

(١) Hua W, Qi W and Gang L (1996): Science of Acupuncture and Moxibustion, p.142-145, Wuhan University press.

مواضع (نقاط) الحجامة وأثرها العلاجي

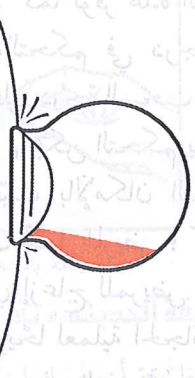

تعتمد مواضع الحجامة على نوع المرض وأيضًا على الوضع الصحي للمريض ؛ وبشكل عام يُمْكِنُ تثبيت كؤوس الحجامة على أي جزء من الجسم ، ولكن الحجامة على الظهر والرقبة وخلف الأذنين وأسفل العمود الفقري (الفقرات القطنية) تُعد من أشهر مواضع الحجامة وأكثرها شعبية عبر التاريخ ، وعمليًّا يُمْكِنُ أداء عملية الحجامة باستخدام موضع واحد (كأس وحيد) ولكن في الممارسةِ الفعلية يُستَعمل عادة العديد مِن المواضع خصوصًا عندما تكون منطقة المرض واسعة وليست محدودة المساحة .

وخلال قراءتي الموسعة ، وبحثي المُعمق في الكتب التراثية والحديثة معًا التي تناولت موضوع الحجامة ؛ وجدت تباينًا كبيرًا في تحديد مواضع الحجامة في جسم الإنسان ؛ واختلافًا واضحًا في عدد المواضع اللازمة للعلاج فلكل

مرضٍ مواضع معينة للحجامة (موضع أو أكثر لكلٍّ منها) ، مما يشير إلى أنه لا توجد مواضع محددة للحجامة ، وأنها نقاط اجتهادية تعلمها الممارسون بالخبرة ، فهي لا ترتكز على تجارب سريرية مؤكدة النتائج ؛ لهذا لا يمكن الحصول على قائمة موحدة أو خريطة ثابتة توضح مواضع الحجامة .

كما أن اختلاف المدارس والنظريات التي يرتكز عليها ممارسو الحجامة يُفسر الإرباك الناجم عن تتبع العدد الهائل من الرسوم المعقدة ، والخرائط والجداول التي تُظهر مواضع الحجامة ؛ فبالنسبة لمن يفسرون التأثير العلمي للحجامة وفقًا لمفهوم الطب الصيني ؛ يعتمد العلاج بالحجامة بصورة كبيرة على التوازن ، والتناسق الداخلي لتيار الطاقة الحيوية في الجسم والمعروفة في الطب الصيني باسم (تشي Chi) الذي يسير في الجسم عبر قنوات يمكن تحديد مساراها ، وبالتالي ترى المدرسة الصينية أن وضع كأس الحجامة في أماكن مختلفة يؤثر على أعضاء معينة وفق خريطة شبيهة بخريطة المعالجة بالإبر الصينية ، وترجع كثرة المواضع التي تعمل عليها الحجامة وفقًا للطب الصيني ؛ لكثرة عملها وتأثيراتها في الجسد ، فهي تعمل على خطوط الطاقة التي تستخدم في العلاج بالإبر الصينية ، ويرى الممارسون أن الحجامة تأتي بنتائج أفضل من الإبر الصينية ، وربما يرجع ذلك ؛ لأن الإبرة تعمل على نقطة صغيرة ، أما الحجامة فتعمل على دائرة قطرها ٥ سم تقريبًا .

كما ترتبط الحجامة ارتباطًا وثيقًا بطريقة العلاج عن طريق المناطق الانعكاسية (Reflex Zone Therapy) ؛ ولهذا يقوم ممارسو الحجامة الذين يرتكزون على نظرية ردِّ الفعل الانعكاسي بتطبيق الحجامة على مواضع المناطق الانعكاسية ، ويحددون نقاط الحجامة وفقًا لخارطة توزيع المناطق الانعكاسية .

كما تُجرى الحجامة مباشرة على أماكن الاحتقان ، والشد العضلي ، وأماكن اعتلال الأنسجة ؛ وحيث يكون الألم دون الالتزام بنقاط محددة

وهكذا نتج عن اختلاف الأساس الذي يقوم عليه العلاج بالحجامة ظهور مدارس مختلفة للعلاج بالحجامة ؛ لكل مدرسة أُسسها العلمية ، وتطبيقاتها ، ونقاطها التي تميزها عن غيرها وللتبسيط يُمْكِنُ أَنْ تُقسمَ نقاط الحجامة إلى مجموعتين : « نقاط الألم الموضعية » و « النقاطِ الانعكاسية البعيدة » . وعادة ما يستعمل المعالج مزيجًا (تشكيلة) من النقاط المختارة من كلتا المجموعتين :

١ - نقاط التحكم عن بُعد (نقاط الانعكاس العصبي اللاإرادي) « Remote Points » :

يرى المؤمنون بهذه النظرية أن هذه النقاط تُشبه مفاتيح جهاز التحكم عن بُعد (Remote Control) ؛ حيث تقع تلك النقاط بعيدًا عن موضع الألم ؛ ولكنها تملك خواصًا

تشريحية وفسيولوجية تمكنها من التحكم في موضع الخلل الذي يبعد عنها ؛ حيث ترتبط مع ذلك الموضع بروابط عصبية مُعقدة ؛ لهذا يمكن من خلال تحفيزها أن تتحكم في علاج الألم أو المشكلة المرضية من خلال تأثيرها الفسيولوجي والنفسي ؛ لذلك توصف أحيانًا بنقاط التحكم عن بُعد « Remote Points » على سبيل المثال بعض هذه النقاط لها مفعول مسكِّن للألم ، ومهدئ للأعصاب ، وبعضها لديه تأثير تنظيمي لعمل الهرمونات ، وبعض النقاط الانعكاسية لها مفعول محفز للمناعة ، كما أن لبعض النقاط تأثير مضاد للالتهابات .

ويُعْتَقَد بأنَّ نقاط التحكم عن بُعد تُحفزُ منطقة معينة من الجلد تنتج أشكالًا مختلفة من ردات الفعل : ردة فعل جلدي / عصبي شوكي ، وردة فعل جلدي / عصبي لاإرادي ، ما يُؤدي إلى تحسين وتنظيم عمل الجهاز العصبي اللاإرادي أو المستقل (Autonomic Regulation) ، وتنشيط نظام العمل في الجهاز العصبي المركزي ، كما يدعم عملية تسكين الألم والتخفيف من حدته ؛ إذ ينتقل هذا التأثير عن طريق الانعكاس اللاإرادي العصبي (رد الفعل الانعكاسي) إلى الجهاز العصبي المركزي ، ومنه إلى الأعصاب الداخلية المسؤولة عن إفراز المواد المناعية ، ومضادات الألم ، ومضادات الالتهاب ؛ حيث ترتفع معدلات هذه المواد تباعًا ، وهكذا تتفاعل أجهزة الجسم المختلفة للتعامل مع الخلل الكيميائي المسبب للشعور بالألم حتى يزول الألم أو تقل حدته .

وللتبسيط يمكن تقسيم نقاط التحكم عن بُعد أو النقاط ذات ردات الفعل الانعكاسية إلى مجموعتين :

أولًا – مجموعة الرقبة والكتفين : تُمثل هذه المجموعة أشهر النقاط التي استعملها المعالجون بالحجامة منذ عصور سحيقة لمُعَالجَة الاضطرابات والمشكلات الصحية الشائعة ؛ وهي نقاط عُرفت في الموروث الشعبي لدى الحجامين بأنها فعَّالة ضد العديد مِن الأمراض ، كما أنها تمثل النقاط الأكثر شعبية وانتشارًا .

ومن اللافت للانتباه أن مجموعة نقاط الرقبة والكتفين تتفق بشكل كبير – بل تتطابق – مع (نقاط الزناد) أو (الغمازات) (Trigger Points) المطابقة للمعايير التي أقرتها الكليَّة الأمريكية لطبِّ الروماتزم في عام (١٩٩٠م) [١] . وهي عبارة عن بُؤر مُتمايزة شديدة الحساسية تقع على شَرِيط مُتَوَتر مَشْدُود من العضلات الهيكلية (الليفية) وهي التي تسبب الألم ؛ هذه البؤر يمكن أن تكون نشطة أو خاملة (مستترة) [٢] .

وتتميز نقطة الزناد النشطة بأنها تسبب الألم حتى في حال الراحة ؛ فهي حساسة دائمًا وليست متعلقة بأي حركة

(١) Wolfe F, Smythe HA, Yunus MB, et al (1990): The American College of Rheumatology 1990 Criteria for the Classification of Fibromyalgia: Report of the Multicenter Criteria Committee. Arthritis Rheum. 33:160-172.

(٢) Simons DG, Travell JG, Simons LS (1999): Myofascial Pain and Dysfunction: the Trigger Point Manual 2d.ed Baltimore: Williams & Wilkins.

تعمل على شد العضلة . ونقطة الزناد النشطة يمكن أن تُحس على الشرِيط المشدُود المكون من حزمة من الألياف العضلية وتعمل على إضعاف العضلة عادة ، وهي مؤلمة عند الضغط عليها وتثير (ردة انتفاضية) عندما تلمس مباشرة ويُمْكِنُ أَنْ ينتج عن الضغط عليها ألمًا ارتجاعيًا في منطقة أخرى . كما يمكن أن تؤدي استثارة هذه البؤر إلى خلل في الوظيفة الحركية أو اضطراب في وظائف الجهاز العصبي اللاإرادي . وقد سُميت هذه البؤر بنقاط الزناد أو (الغمازات) ؛ لكونها تشبه زَنْد (غَمَّاز) البندقية أو المسدس ؛ حيث يؤدي الضغط عليها واستثارتها إلى اِسْتَدعاء مجموعة من ردات الفعل العصبية .

أما نقطة الزناد الخاملة فلا تسبب ألمًا أثناء النشاطات اليومية الطبيعية ؛ لكنها تُسبب الألم فقط عندما تُلمس . ويمكن أن تحد من مجال حركة العضلة ؛ فتؤدي إلى صعوبة الحركة . ويمكن أن تتهيج بسبب الطقس الرطب أو البارد أو الجاف ، أو الإفراط في استعمال العضلة بسبب النشاط فوق الاعتيادي ، والإجهاد ، وكذلك يمكن أن يتسبب القلق أو الكآبة في تهييج نقاط الزناد الخاملة .

ويُعد الكاهل [١] أهم هذه المواضع وهو أيضًا موضعًا مؤثرًا

(١) جاء في القاموس المحيط : الكاهل هو أعلى الظهر مما يلي العنق ، وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقر ، أو هو ما بين الكتفين وهو مقدم الظهر ، أو موصل =

ويُمثل القاسم المشترك بين كل الأمراض التي تساعد الحجامة في علاجها أو التي تنجح تمامًا في شفائها ، وهو الذي يبدأ به الحجَّامون الشعبيون عملية الحجامة دائمًا .

كما تتضمن مجموعة العنق والكتفين أيضًا نقاط الأخدعين [١] : وهي النقاط الواقعة على جانبي القفا ؛ وهي

= العنق في الصلب ، ومن هذا التعريف المزدوج وقع خلاف في تحديد مكان الكاهل الحقيقي لدى الأطباء والحجامين ، ومن هنا نشأ الخلاف في المكان الأنسب لعمل الحجامة . فاختار أغلب المعالجين بالحجامة منطقة البروز العظمي الواقع بأسفل القفا والتي تناظر الفقرة العنقية السابعة (C_7) وسبب تفضيل هذه المنطقة أنها ذات تأثير هرموني قوى ؛ ولذا يسمى أيضًا بالتحدب أو النتوء الهرموني (Hormonal Hump) . بينما اختار فريق آخر من ممارسي الحجامة مكانًا للكاهل في الجزء الأعلى من الظهر بين لوحي الكتف (Inter Scapular) ، ويؤكد هذا الفريق أن هذا المكان هو المناسب لعمل الحجامة وأن الفائدة المرجوة من الحجامة قد لا تتحقق إلا من خلال هذه النقطة .

(١) تسمى هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى الأخدع وهو وريد كبير يمر على جانبي العنق مباشرة خلف زاوية الفك السفلي ؛ ويُعرف في كتب التشريح باسم الوَرِيد الوداجي الظاهر الخلفي (Posterior External Jagular Vein) ويمتد حتى منتصف الترقوة حيث يصب في الوَرِيد الوداجي الظاهر (External Jagular Vein) ، وفي لسان العرب الأَخْدَعان : عِرقان خَفِيان في موضع الحِجامة من العُنق ، وربما وقعت شَرْطة المشرط على أَحدهما فيَنْزِفُ صاحبه ؛ لأن الأخدع شعبة من الوريد ؛ لذلك فالحجامة على هذه المنطقة تستوجب أخذ الحذر والحيطة ؛ حيث يجب أن تكون الشرطه سطحية غير عميقة وتقوم مقامها الحجامة في الكاهل وهي أبعد عن العروق الكبيرة وأسلم .

أيضًا من المواضع المفضلة لإجراء الحجامة ، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المواضع (الكاهل والأخدعين) من مواضع الحجامة الواردة في الهدي النبوي ؛ حيث احتجم النبي ﷺ في الأخدعين ، فعن ابن ماجه عن أنس أن النبي ﷺ : « احتجم في الأخدعين وعلى الكاهل » [١] . وكذلك روى الترمذي عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يحتجم في الأخدعين والكاهل ، وهي مواضع ليست بالتوقيفية ، أي ليست ملزمة شرعًا ؛ لأنها من الطبِّ وليست من الأمور التعبدية .

وقد استمر استعمال الحجامة في الأخدعين والكاهل في عهود النهضة الإسلامية وذكرها ابن سينا في قانونه . ولا تزال الحجامة المدماة على الكاهل تستعمل حتى أيامنا هذه .

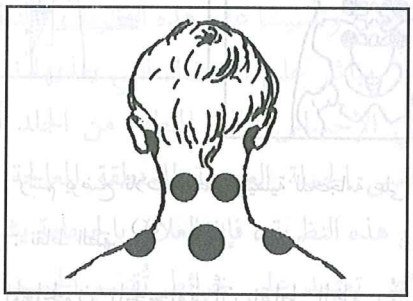

النقاط الرئيسية والأكثر شيوعًا لتطبيق الحجامة (٢)

ثانيًا – مجموعة الظهر : تتكون هذه المجموعة مِنْ صفين طوليين من النقاط الممتدة بشكل متوازٍ على طول العمود

(١) أورده ابن ماجه ، الحديث (٣٤٧٤) .

(٢) From Das Schroepfen by Dr. Med Johann Abele 1998 Modified .

الفقري ، ويبعد كل صف مسافة إصبع ونِصْف عن الأطراف المستدقة لفقرات العمود الفقري . ومن المُثير مُلاحَظَة أن كُلَّ نقطة تقريبًا مِنْ نقاطِ الظهر تقع بالضبط على عقدة معينةٍ من العُقد السيمباثوية (Sympathetic Ganglion) الموزعة على جانبي العمود الفقري والتي ترتَبطُ كل واحدةٍ منها – عصبيًّا – بعضو داخلي خاص بها .

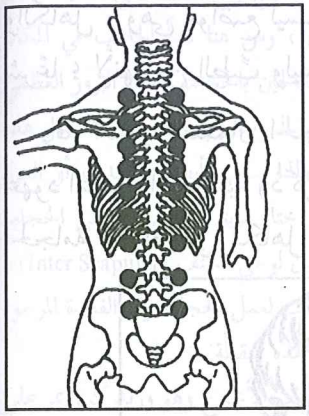

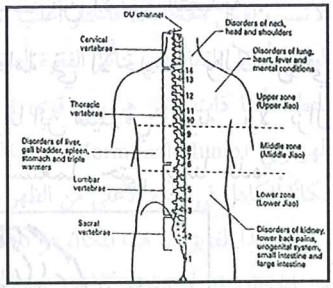

إلى اليمين : رسم يوضح ثلاث مناطق رئيسية للحجامة على الظهر (١)

إلى اليسار : نقاط الظهر (٢)

ويعتقد المعالجون بالحجامة أن نقاط الظهر تُشكلُ نقاط الظهر « علامات سطحية » تحدد بدقة كافية مواقع العُقَدِ السيمباثوية ، وبالتالي فإن تحفيز هذه النقاط يُمْكِنُ أنْ يؤثر

(١) Chirali I Z (1999): Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

(٢) From Japanese Acupuncture Book by: Birch and Ida; 1998.

على الأعضاء الداخلية المرتبطة بها ، ويساعد على تنشيط عملها ؛ حيث ترتبط هذه المناطق الجلدية فسيولوجيًّا وتشريحيًّا بالأعضاء (الأحشاء) الداخلية المُرتبطة بها ، وذلك من خلال العُقَدِ العصبية اللاإرادية للسلسلة السيمباثوية . وتقوم هذه النظرية على الربط بين موضع الحجامة على الجلد ، والعضو المراد حثه على الشفاء ، وهذه النظرية تعزى إلى تطور الجنين من طبقاته المختلفة ؛ حيث تشترك الأحشاء الداخلية مع أجزاء معينة من جلد الإنسان في مكان دخول الأعصاب المغذية لها في النخاع الشوكي أو النخاع المستطيل أو في المخ المتوسط . وبمقتضى هذا الاشتراك فإن أي تنبيه للجلد في منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد ، وتأسيسًا على هذه النظرية ، فالمنطقة المحجومة لها تأثير غير مباشر على الأعضاء التي يغذيها نفس العصب الذي يعطي الإحساس لتلك المنطقة من الجلد أي العصب المشترك بنفس الجملة العصبية للمنطقة المعالجة بالحجامة . استنادًا على هذه النظرية ، فإن العلاج بالحجامة يشبه الأساليب العلاجية التي تعتمد على خرائط تُقسم الجسم البشري إلى عدة مقاطع جلدية (Dermatomes) استنادًا إلى علم التشريح العصبي (Neuroanatomy) .

فهناك تقنيات علاجِ يدوية أخرى كثيرة تقوم على فكرة ارتباط مناطق سطحية معيَّنة من الجلد بالأعضاء الداخلية أو ارتباطها بمشكلات صحية معيَّنةٍ ؛ ولهذا يرى كثير من

الفقري ، ويبعد كل صف مسافة إصبع ونِصْف عن الأطراف المستدقة لفقرات العمود الفقري . ومن المُثير مُلاحَظَة أن كُلَّ نقطة تقريبًا مِنْ نقاطِ الظهر تقع بالضبط على عقدة معينةٍ من العُقد السيمباثوية (Sympathetic Ganglion) الموزعة على جانبي العمود الفقري والتي ترتَبطُ كل واحدةٍ منها - عصبيًا - بعضو داخلي خاص بها .

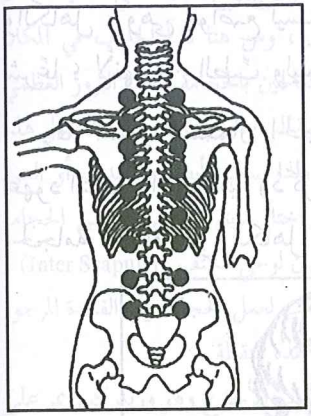

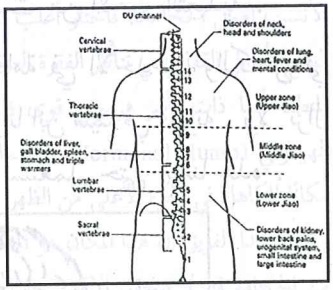

إلى اليمين : رسم يوضح ثلاث مناطق رئيسية للحجامة على الظهر (١)

إلى اليسار : نقاط الظهر (٢)

ويعتقد المعالجون بالحجامة أن نقاط الظهر تُشكلُ نقاط الظهر « علامات سطحية » تحدد بدقة كافية مواقع العُقَدِ السيمباثوية ، وبالتالي فإن تحفيز هذه النقاط يُمْكِنُ أنْ يؤثر

(١) Chirali I Z (1999): Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

(٢) From Japanese Acupuncture Book by: Birch and Ida; 1998.

على الأعضاء الداخلية المرتبطة بها ، ويساعد على تنشيط عملها ؛ حيث ترتبط هذه المناطق الجلدية فسيولوجيًا وتشريحيًا بالأعضاء (الأحشاء) الداخلية المُرتبطة بها ، وذلك من خلال العُقَدِ العصبية اللاإرادية للسلسلة السيمباثوية . وتقوم هذه النظرية على الربط بين موضع الحجامة على الجلد ، والعضو المراد حثه على الشفاء ، وهذه النظرية تعزى إلى تطور الجنين من طبقاته المختلفة ؛ حيث تشترك الأحشاء الداخلية مع أجزاء معينة من جلد الإنسان في مكان دخول الأعصاب المغذية لها في النخاع الشوكي أو النخاع المستطيل أو في المخ المتوسط . وبمقتضى هذا الاشتراك فإن أي تنبيه للجلد في منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد ، وتأسيسًا على هذه النظرية ، فالمنطقة المحجومة لها تأثير غير مباشر على الأعضاء التي يغذيها نفس العصب الذي يعطي الإحساس لتلك المنطقة من الجلد أي العصب المشترك بنفس الجملة العصبية للمنطقة المعالجة بالحجامة . استنادًا على هذه النظرية ، فإن العلاج بالحجامة يشبه الأساليب العلاجية التي تعتمد على خرائط تُقسم الجسم البشري إلى عدة مقاطع جلدية (Dermatomes) استنادًا إلى علم التشريح العصبي (Neuroanatomy) .

فهناك تقنيات علاجِ يدوية أخرى كثيرة تقوم على فكرة ارتباط مناطق سطحية معيَّنة من الجلد بالأعضاء الداخلية أو ارتباطها بمشكلات صحية معيَّنة ؛ ولهذا يرى كثير من

المعالجين بالحجامة أن آلية عمل الحجامة تشبه آلية عمل الإبر الصينية أو التدليك ؛ حيث يؤثر الضغط السلبي للكأس على الأعضاء الداخلية عن طريق تنبيه مناطق عصبية معينة على الجلد لها اتصال بتلك الأعضاء من خلال الوصلات العصبية المشتركة بينهما .

علاوة على ذلك ؛ فبالإضافة إلى العلاج تستعمل هذه النقاط للتشخيص ، ومتابعة الأثر العلاجي . فعند حدوث خلل في وظائف عضو ما ، فإن المنطقة من الجلد التي ترتبط بذلك العضو تتعرض لتغيرات فسيولوجية بشكل آلي . بحيث يُمكن للمعالج أن يشخص وجود خلل في وظيفة عضو معين من خلال التغير الذي يحدث في لون البَشرَة بعد إزالة كؤوس الحجامة الجافة من نقاط الظهر . فالنقاط التي تُظهر لونًا داكنًا تُشير - بصورة غير دقيقة - إلى خلل ما في وظيفة العضو المرتبط بها عصبيًّا ، وكلما كثر عدد النقاط الداكنة دلَّ ذلك على وجود أكثر من مشكلة ، وتضرر أكثر من عضو أما إذا لم تُظهر مواضع الحجامة الجافة على الظهر أي تغير ملحوظ في لون الجلد ؛ فهذا يُشيرُ إلى حالة صحية جيدة [١] .

النقاط المؤلمة (مواضع الألم) :

هي نقاط تُمثل الدرجة القصوى من الألم ، ولها تأثير على المنطقةِ المحيطة بها مباشرة ، وهذه النقاط يَجِبُ أَنْ يتم

(١) Abele J (1998): Das Schropfen Einebewahrte Alternative Helmethode. Gustavfischer Uim Stutgart Jonn Lubeck.

تطبيق كأس الحجامة فوقها أينما وجدت ، وهذا المبدأ يُمثل الاعتبار الأول الذي يَجِبُ أَنْ يَحْكمَ اختيار نقاط الحجامة ؛ والعديد مِن الممارسين للحجامة يُجمعون على أن المرضى ينتفعون منفعة بالغة عندما توضع الكؤوس مباشرة فوق موقع الألمِ ، أو بالقُرْب منه ما أمكن [١] .

وعادة ما يتم اختيار نقاط الألم الموضعية ، ومناطق التورمِ ، وقد يُضيف المعالج نقطة أخرى أعلى أو أسفل موقعِ الألمِ ، وهذا الأسلوب في علاج الألم بواسطة الحجامة يُستعمل في علاج مجموعة من الأمراض الروماتزمية ؛ ومنها : انفتال العنق (Torticollis) ، التواء العضلة القطنية ، إصابات الصدرِ والظهرِ ، وكذلك إصابات عضلات ومفاصل الأطراف . ولتحديد أماكن نقاطِ الألم الموضعية بالضبط ، يطلب المعالج من المريض القيام بأكثر الحركات إيلامًا ؛ ومن ثم يبحث عن النقطة الأكثر ألمًا في الوضعية الأكثر تَوَجُّعًا .

عندما يوضع كأس الحجامة فوق النقطة المُختارة على الجلد وتبدأ عملية تفريغ الهواء ؛ يحدثُ فراغ داخل الكأس يؤدي إلى خلخلة الضغط بداخله ؛ ونتيجة لخلخلة الضغط داخل الكأس ، يتجه الدم نحو سطح الجلد ؛ حيث يتحرك الدم من الطبقات العميقة حيث الضغط الأعلى (داخل الجلد المصوص) إلى سطح الجسم حيث الضغط الأقل (داخل

(١) Jayasuriya A (1982) : Traditional Chinese Acupuncture, the Acupuncture Foundation of Sri Lanka .

تجويف الكأس) ، فالهدف من عملية سحب أو شفط سطح الجلد هو زيادة تدفق الدمِّ المُحمل بمخلفات عمليات الأيض إلى سطح الجلد حيث المنطقة الجلدية التي تقع تحت الكأس مباشرة ؛ وذلك بفعل قوة الامتصاص (الضغط السلبي) التي يحدثها الكأس الماص ؛ فالسحب الشديد يؤدي إلى إجبار الفضلات السُّمية الراكدة في الدم على التدفق خلال الجلد ؛ والجلد هو أكبر أعضاء الجسم ويُمْكِنُه أَنْ يُنقي الدم ويطرد سموم الجسم بسرعة وبكفاءة عالية ؛ لأن الجلد يمتلك أغنى شبكة من الشُّعيرات الدموية .

وهكذا فإن كأس الحجامة يُشجع تدفق الدمِّ في المنطقةِ تحت الكأس ، ويَسْحبُ الدم ويجذبه بشكل طبيعي إلى الأوعية الشعرية الظاهرية (الخارجية) للجسم ، وبتحفيز حركة الدمِّ ، يُمْكِنُ أَنْ ينجلي ركود الدم الموضعي . كما أن ردات الفعل العصبية المنعكسة تُحدث تغييرًا في توزيع الدورة الدموية الدقيقة على المستوى الموضعي .

* * *

مواضع الحجامة التي ورد أن نبينا محمد ﷺ احتجم عندها

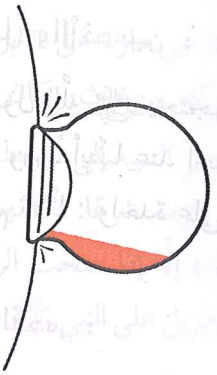

يقول ابن القيم : « ثبت عن النبي ﷺ أنه احتجم في عدة مواضع من قفاه بحسب ما اقتضاه ذلك ، واحتجم في غير القفا بحسب ما دعت إليه حاجته » .

ونذكر فيما يلي الأحاديث الواردة عن المصطفى ﷺ والتي تُحدد المواضع التي احتجم عندها ﷺ :

١ - الحجامة في الرأس :

وقال محمد بن سواء أخبرنا هشام عن عكرمة عن ابن عَبَّاسٍ : (أن رسول اللَّه ﷺ احتجم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به) [١] ، وفي رواية : (احتجم رسول اللَّه ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٥٨) وقال الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على الحديث رقم (٥٦٨١) من جامع الأصول : هو حديث حسن . ولكن الأستاذ محمد عوامة قال : لقد اختلف في درجة هذا الحديث .

وهو محرم بلَحي جمل من طريق مكة في وسط رأسه) [١] .

٢ - الحجامة على الكاهل والأخدعين :

عن أنس ﷺ : (كان رسول اللَّه ﷺ يحتجم ثلاثًا في الأخدعين والكاهل) [٢] . وورد أيضًا عند أحمد قال : (كان رسول اللَّه ﷺ يحتجم ثلاثًا : واحدة على كاهله ، واثنتين على الأخدعين) [٣] .

٣ - الحجامة على ظهر القدم :

وعند ابن ماجه في سننه عن جابر : (أن النبي ﷺ سقط عن فرسه على جذع فانفكت قدمه) . وقال وكيع أن النبي ﷺ احتجم عليها من وثء . وفي سنن النسائي عن قتادة عن أنس : (أن رسول اللَّه ﷺ احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وثء [٤] كان به) [٥] .

---

(١) اليافوخ : عظم مقدم الرأس .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٣٨٦٠) في كتاب الطب ، والترمذي (٢٠٥١) في كتاب الطب ، وابن ماجه (٣٤٨٣) في كتاب الطب ، وأحمد (١١٩/٣) ، وقال الألباني في « صحيح سنن ابن ماجه » (٢٨٠٥) : صحيح .

(٣) أخرجه أحمد (١٩٢/٣) .

(٤) الوثء : وجع يصيب العضلات لا يبلغ العظم وهو عبارة عن التواء عنيف بالمفصل من غير كسر .

(٥) رواه أبو داود (١٨٣٧) والنسائي في الحجم وإسناده صحيح كما في تعليق الأستاذ الأرناؤوط على الحديث رقم (١٣٢٥) من جامع الأصول .

٤ - الحجامة على الورك :

وعند أبي داود عَنْ جَابِر : (أن رسول اللَّه ﷺ احتجم على وركه من وثء كان به) [١] .

ويجدر التنبيه إلى أن هذه المواضع ليست بالتوقيفية ، أي ليست ملزمة شرعًا ؛ لأنها من الطب وليست من الأمور التعبدية ؛ إلَّا إذا صحت الرواية الواردة في سنن ابن ماجه : (نزل جبريل على النبي ﷺ بحجامة الأخدعين والكاهل) [٢] .

* * *

---

(١) رواه أو داود (٣٨٣٦) في الطب وهو حديث حسن كما في تعليق الأستاذ الأرناؤوط على الحديث رقم (٥٦٧٣) من جامع الأصول .

(٢) حديث ضعيف أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٢) في كتاب الطب ، باب : موضع الحجامة وضعفه الألباني في « ضعيف سنن ابن ماجه » .

الحجامة
بين العلم والأسطورة

الفصل الثالث

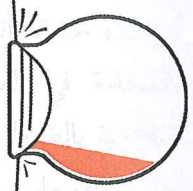

- الاستطباب بالحجامة في الطب القديم والحديث (دواعي استعمال الحجامة) .
- أفضل أيام الحجامة
- الحالات التي لا يجب فيها العلاج بالحجامة .
(موانع استعمال الحجامة) .

الاستطباب بالحجامة في الطب القديم والحديث (دواعي استعمال الحجامة)

بعد الاطلاع والتدقيق في تاريخ التداوي بالحجامة ؛ أدركتُ حقيقة أنه ليس بالإمكان حصر دواعي الاستطباب بالحجامة في العصور القديمة ، أو معرفة حدود قدرتها العلاجية بالضبط ؛ فقد استخدمت الحجامة في الطب القديم على نطاقٍ واسعٍ ؛ حيث ذكر الأطباء والعلماء قديمًا وحديثًا فوائد كثيرة للحجامة تتداخل أحيانًا مع العلاج بالفصد ، وإن ميزت بعض المراجع التاريخية بين دواعي الاستطباب بكلٍّ منهما ؛ يقول العلامة ابن القيم : (وأما منافع الحجامة فإنها تنقي سطح البدن أكثر من الفصد ، والفصد لأعماق البدن أفضل ، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد) [1] . وبينما تشير الوقائع التاريخية إلى أن التداوي بالفصد كان محصورًا في علاج حالات مَرضية محدودة أبرزها مرض

(١) كتاب الطب النبوي لابن القيم .

فرط الكريات الحُمر (polycythemia) [١] ؛ فإن للحجامة قائمة طويلة من التطبيقات الطبية يصعب حصرها : لكونها تجمع بين فوائد علاجية ووقائية معًا .

ففي البداية استخدم هذا العلاج بشكل رئيسي لتصريف الدمِّ والقيح مِن الخُرَّاجِ . كما استعملَ أيضًا لمصِّ الدمِّ مِن الجروحِ المسَمَّمةِ ؛ بسبب لدغات الأفاعي ، والعقارب . ولكن نظرًا لبساطة تطبيق هذا العلاج ، ولتأثيره العلاجي الجيد ؛ توسع نطاق استخدامه ليشمل بَعْض الأمراض التي تُصنف ضمن اختصاصات الطبِّ الباطني ؛ مثل السُّل الرئوي ، والروماتزم ، والصداع ، وارتفاع ضغط الدم ، والزكام . كما استخدم على نطاق واسع لعلاج قائمة طويلة من الآلام والأوجاع المختلفة ؛ كأوجاع البطن وعسر الهضم ، وألم الظهر ، وعسر الحيض . وكذلك استخدمت الحجامة لمداواة تورم العين واحمرارها . وكثيرًا ما كان العلاج بالحجامة مقرونًا بوخزات الإبر الصينية خاصة لدى الشعوب الآسيوية . وللتبسيط والإيجاز ، يمكن تقسيم المحاور التي تعمل الحجامة عليها إلى ثلاثة محاور رئيسية :

١ – الوقاية من الأمراض وتعزيز الصحة العامة :

كما استعملت الحجامة بنجاح للمُسَاعَدَة في معالجةِ

(١) أحد أمراض الدم ينتج بسبب التكون السريع لكريات الدم الحمراء ، يُعالج بالفصد لتخفيض كمية الدمِّ من خلال عملية النزف .

بعض الاضطرابات الصحية ؛ استخدمت الحجامة لتعزيز مناعة الجسم ولتحفيز وتَقْوِية الدورة الدموية ؛ وهو ما جعل للحجامة منافع صحية لا نهائية . وقديمًا كان المرضى يعمدون إلى عملية نزف الدم اعتقادًا بأن التخفف من الدمِّ يُدعم الصحة العامة . وحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي كان الأصحاء من سكان الضواحي والبلدات الإنجليزية يذهبون إلى (لندن) بانتظام مرتين في السنة ؛ إحداهما في فصل الربيع ، والأخرى في الخريف بهدف التسوق ؛ وكانوا يقصدون المستشفى لعمل الحجامة كجزء مِنْ برنامج دوري ؛ لصيانةِ الصحةِ والاحتفاظ بحالة صحية جيدةِ [١] . كما كان العرب أيضًا يمارسون الحجامة مع الإدماء بغرض تقوية الصحة ، ومقاومة الأمراض .

ولعل مما يُبرهن على إمكانية إجراء الحجامة في حال الصحة للوقاية من الأمراض ، حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما مررت ليلة أسري بي بملأ من الملائكة إلا قالوا : يا محمد مُر أمتك بالحجامة** » [٢] .

لهذا السبب تم تقسيم الحجامة إلى نوعين : الحجامة الضرورية ، والحجامة الاختيارية . وكان العرب يستعملون

(١) Hamilton S (2002): From Haircutters to Hemochromatosis: A History of Blood Letting; Proceedings of the 11 th Annual History of Medicine Days. WA Whitelaw- p. 149-155.

(٢) ابن ماجه ، الحديث (٣٤٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع .

الحجامة الاختيارية (في حال الصحة) بعد منتصف الشهر القمري ، أما الحجامة الضرورية (في حال المرض) فيُمْكِنُ أَنْ تُستَعمل في أي وقت كلما اقتضت الحاجة .

وقد أظهرت إحدى الدراسات العلمية الحديثة ؛ أن الحجامة المنتظمة على الظهر تُعزز الجهاز المناعي وتدعم مقاومة الجسم للأمراض ؛ حيث أظهرت نتائج الدراسة زيادة ملحوظة في عدد كريات الدم البيضاء لدى الأشخاص الذين استخدموا الحجامة بشكل منتظم على الظهر (١) . ويوم بعد يوم تؤكد البحوث الحديثة تأثير الحجامة على الجهاز المناعي من حيث قدرتها على تحفيز الخلايا المناعية المختلفة ، وكذلك مقدرتها على إحداث التوازن المناعي (٢) .

وقد أظهرت الدراسة الأولى من نوعها ، التي قامت بها المؤلفة في عام (٢٠٠٥م) (٣) أن العلاج بالحجامة ليس مجرد طريقة فعالة لتسكين الألم فحسب ، بل إنه علاج له فعاليته في

(١) El-derani A et al (1999): Al-dwaa Al-ajeep: Cupping therapy in a new view; Nour AL-Basheer Press. Syria. See URL: http//:www. ThingsNotSaid. org.

(٢)Yazdi M Sh (2003): Traditional Persian Medicine & its Use in Dermatology, An Ethno Medical Viewpoint, MedReport November; p:4.

(٣) رسالة ماجستير بعنوان : « تأثير العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء على كل من مستقبلات إنترلوكين – والخلايا الطبيعية القاتلة في مرضى الروماتويد » . قسم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة – جامعة الأزهر – ٢٠٠٥م .

إحداث تأثير تنظيمي على عناصر الجهاز المناعي الخلوية . من ذلك أن العلاج بالحجامة يُدعم تكاثر الخلايا القاتلة طبيعيًّا (١) (NK cells) ، ما يعني استنفار وتحفيز القدرة المناعية لتلك الخلايا ؛ وهو ما يعزز دفاعات الجسم الطبيعية ضد العدوى بأنواعها ، والتحولات السرطانية .

ولعل مما يُبرهن على فعالية الحجامة في تنشيط الجسم ، ومنحه المزيد من الحيوية والنضارة ؛ وجود بعض المؤشرات والدلالات العلمية التي تُشيرُ إلى فعالية هذا العلاج في تلطيف وتخفيف أعراض مرض الإعياء المزمن (Chronic Fatigue Syndrome) ، وهو مصطلح يُعبر عن حالة من الإعياءِ الحادِّ والإرهاق الطويل المدى دون أن تُثبت الفحوصات السريرية والمعملية وجود أية أسبابِ نفسيةِ أو عضوية تُبرر الشعور بالإجهاد المزمن ؛ وتُعرف هذه الحالة أيضًا باسم (متلازمة الإعياء المزمن الناجم عن نقص المناعة (Chronic Fatigue Immune Deficiency Syndrome) .

وقد سجلت دراسة علمية أجراها الطبيب الصيني (Wang) وزملاؤه الأطباء تفوق العلاج المزدوج بالوخز بالإبر مع

(١) مجموعة من الخلايا يطلقها جهاز المناعة غير المتخصص وتعد فصيلًا من الخلايا الليمفاوية المقاومة ؛ تدور باقتدار في الدورة الدموية خاصة الطرفية لمنع أي غزو خارجي لجسم الإنسان ؛ حيث تشارك مشاركة فعالة وفورية في محاصرة الميكروب الغازي والقضاء عليه . كما يُعزى أيضًا للخلايا القاتلة طبيعيًّا تورطها في الدفاع عن الجسم ضد التحولات السرطانية .

كؤوس الحجامة في التخفيف من أعراض الإعياء المزمن ؛ حيث أشارت الإحصاءات إلى وجود فارق إحصائي بين المجموعات المُعَالَجَة والغير مُعالجة ($p = 0.05$) [١] .

٢ - الحجامة للسيطرة على الألم :

هناك دلائل علمية واضحة تؤكد فعالية الحجامة في تسكين الألم ؛ وارتباطها تراثيًا وتاريخيًا بقائمة طويلة من العلل ، والاضطرابات التي يكون الألم أحد أهم أعراضها ؛ من ذلك على سبيل المثال :

- الصداع بأنواعه .
- ألم الرقبة والكتفين .
- ألم الوجه .
- ألم الدورة الشهرية .
- ألم النقرس .
- الآلام الناتجة عن الحوادث خلال ممارسة الرياضة .
- ألم أسفل الظهر وعرق النسا .
- الشد العضلي .
- الروماتزم والالتواء .

(١) Wang Wei-hong et al (2001): A Clinical Audit of the Treatment of Chronic Fatigue Syndrome with Acupuncture Combined with Cupping, issue No. 8, of Zhong Guo Zhen Jiu (Chinese Acupuncture & Moxibustion) on pages: 481-482.

كما تفيد الحجامة الجافة في تسكين الآلام جميعها إذا طبقت في مكان الألم أو قريبًا منه .. وقد ورد في تقرير عن نتائج دراسة طبية قام بها أطباء صينيون ؛ أن العلاج بوخز الإبر مع الحجامة فعَّال جدًّا في معالجةِ الألمِ وقَدْ ينتج تأثيرًا مسكنًا بدرجة مُتميِّزَة ؛ حتى إن نسبة التأثيرِ الشفائي بلغت (٩٧,١٢٪) [١] . وقد ورد أن النبي ﷺ سقط على وركه فأصيب بوثء فيه ، أي وجع فيه فعالجه بالحجامة .

٣ - الأمراض التي تُسهم في علاجها الحجامة :

أما خارج إطار الحجامة الوقائية ، والحجامة لتسكين الألم ؛ فيُمْكِنُ للتقرير الطبي التالي أَنْ يُلخص مجموعة الأمراض التي ورد في الكتب التي تناقش (تاريخ الطب) أن الحجامة كانت تُستخدم في علاجها ؛ وقد حرصتُ - ما وسعني- أن أُرفق بهذا التقرير الطبي بعض المراجع الطبية الشحيحة جدًّا التي تمثل اجتهاد بعض الأطباء المعاصرين - معظمهم من الصين - لمحاولة إخضاع العلاج بالحجامة إلى قوانين البحث والتجريب العلمي ؛ وحاولوا تسجيل ملاحظاتهم السريرية (الإكلينيكية) حول تأثير العلاج بالحجامة على بعض الأمراض . ولكن يجدر التنبيه إلى أن هذه الملاحظات تبقى قيد الشك والتحفظ ؛

(١) Qingdao L and Guying H (1984): The Clinical Observation of Treatment of Pain by Shallow Puncture and Cupping. The Second National Symposium on Acupuncture and Moxibustion and Acupuncture Anesthesia. Beijing. China. August 7-10, 1984.

نظرًا لعدم وجود دراسات علمية مُعمَّقة ودقيقة ومكثفة حول تأثير الحجامة على هذه الأمراض .

وللتبسيط والإيجاز ؛ يمكن تقسيم الأمراض التي يُمكن أن تُعالَج - جزئيًا أو كليًا - بواسطة الحجامة إلى فئات رئيسية كالتالي :

١ - الصداع والشقيقة : يُعدُّ الصداع أشهر الأمراض التي عولجت بالحجامة عبر التاريخ . وحتى القرن الثامن عشر كانت الحجامة تتربع عرش العلاجات الفعَّالة ضد الصداع . وقد أوصتْ نتائج بحوث علمية حديثة بفعالية الحجامة في علاج الصداع النصفي (الشقيقة) العنيد ؛ من ذلك دراسة الباحث الصيني (Duo) التي أظهرت نجاح العلاج المزدوج بالحجامة ، والإبر الصينية في علاج مِئة حالة مِنْ حالات الشقيقة التي استعصت على العلاج بوسائل أخرى عديدة [١] .

كما سجل الطبيبُ الكوري (Seung) نتائج دراسة علمية تؤكد فعالية المعالجة بنزح الدم (Blood Letting) في التخلص من الصداع [٢] .

(١) Duo X (1999) 100: Cases of Intractable Migraine Treated by Acupuncture and Cupping. Journal of TCM. Vol 19

(٢) Seung W (1998): Headache; Differential Diagnosis and Treatment by Traditional Korean Medicine, Paper 1st Presented at World Congress of Natural Medicine, Malaga Spain. Brit. J. Acu .11:2.

ومن الثابت في كتب الحديث (أن رسول اللَّه ﷺ احتجم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به) [١] .

وعن سلمى رضي الله عنها خادمة رسول اللَّه ﷺ قالت : ما كان أحد يشتكي إلى رسول اللَّه ﷺ وجعًا في رأسه إلا قال له : « احْتَجِمْ » ، ولا وجعًا في رجليه إلا قال له : « اخْتَضِبْ بِالحِنَّاء » [٢] .

٢ - الأمراض الروماتزمية : لطالما نجحت الحجامة - مقرونة بنوع آخر من العلاجات أو بشكل منفرد - في علاج عدد كبير من الأمراض الروماتزمية والمشكلات الصحية المتعلقة بالجهاز الحركي ، حتى إن الأعراض المزمنة كانت تختفي بعد بضعة جلسات من العلاجِ بالحجامة . ويرى الممارسون للعلاج بالحجامة أنها تنفرد بقدرتها على تخفيف الآلام الروماتزمية دون أن يكون للعلاج أية مضاعفات جانبية ؛ وأن الحجامة لها تأثير إيجابي جدًّا على آلام الرقبة والكتفين ، والآلام المفصلية ، وآلام الظهر خاصةً المتعلقة بالفقرات القطنية (أسفل الظهر) ، وروماتزم العضلات المزمن ؛ حيث تعمل الحجامة على تنشيط الدورة الدموية ، وتخفيف الاحتقان في المناطق المتأثرة ، كما تُساعد في تسكين الآلام .

والتقرير التالي يستعرض مجموعة من الأمراض المتعلقة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٣٨٥٨) في كتاب الطب وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » .

بالجهاز الحركي التي تستجيب للعلاج بالحجامة ، والتي أثبتت البحوث السريرية أنها عندما عولجت بالحجامة ، أظهرت إما تَحسنًا ملحوظًا أو شَفَاءً تامًّا :

– **التهاب المفاصل** (Arthritits) : تُعد مُعَالجة التهاب وألم المفاصل أشهر التطبيقات العلاجية الفعَّالة للحجامة . فمنذ القدم كَانَ استخدام الحجامة رائجًا جدًّا في التصدي لألمِ النقرسِ والكثير مِن الأشكالِ الأخرى للتهاب المفاصل المُزمن الشائعة . ولا زالت الحجامة تجد لها مقعدًا في صفوف المعالجات الحديثة لالتهاب المفاصل ؛ حيث تقول الإحصاءات : إنه في ألمانيا بين العامين (١٩٨٧ ، ١٩٩٢م) ، لجأ نحو : (٣٢ إلى ٦٤ ٪) مِن المرضى المصابين بالتهاب المفاصل المُزمن إلى العلاج بالحجامة كأحد أشكال العلاجات البديلة [١] .

وتتركَّز المعالجة بالحجامة في هذه الحالات على منطقةِ المفاصلِ المُتضررة . وفي حالات التهاب المفاصل البسيط ، يحصل المريض على نتائج مُرضية حيث ينجح العلاج نجاحًا تامًّا في أغلب الحالات البسيطة ، وقد يعود السبب في هذه النتيجة إلى قدرة الحجامة على تحريض التدفق الأفضلِ للدمِّ حول المفاصلِ المصابة وأيضًا إزالة التشنجات العضلية حول

(١) Miehle W (1995): Chronic Polyarthritis-Treatment with Alternative Medicine. How Frequent is (Self-) Therapy with Alternative Methods, Fortschr Med 1995. Mar10;113 (7):5-81 .

المفاصلِ ؛ هذا بالإضافة إلى قدرة الحجامة على تَحسين عملية توزيع الدمِّ وبالتالي إزالة الركود الدمِّوي حول المفصل المُتضرر ، وهو ما يُخفض من مستوى النشاط الالتهابي ويساعد على معالجة التورم ويُوقف الألم . كما يُساعدُ نزح كمية من الدم حول المفصل المريضِ في تَصريف التجمع الدموي والارتشاح الالتهابي .

وقد استعملتْ الحجامة كأحد أشكال الطب الصيني التقليدي (مع الإدماء في أغلب الأحيان) في مجموعة من البحوث الساعية إلى معالجة التهاب المفاصل السيلاني [١] ، وأظهرت الإحصاءات أن نسبة الشفاء بلغتْ (٨٤,٥٪) [٢] . كما قام الباحث الصيني (Hu) بمعالجة (٦١٥) حالة تعاني مِنْ ألم المفاصل باستخدام مُعَالَجَة مزدوجة دَمجَ فيها العلاج بالوخز بالإبر إلى المُعَالَجَة بالحجامة وأظهرت الدراسة نتائج مبدئية جيدة تستدعي المزيد من البحوث العملية في هذا المجال [٣] .

ويذكر الطبيب الصيني (Chen) أنه عالج (٣٩) مريض يعاني من النقرسِ الحادِّ باستخدام الحجامة مع الإدماء

(١) التهاب في المفاصل ينتج عن الإصابة بعدوى السيلان التي تسببها بكتيريا تعرف باسم N. Gonorrhea

(٢) Wang K. (1996): 116 Cases of Gonococcal arthritis treated with acupuncture. J. Traditional Chinese Medicine, Jun; 16 (2): 108-111.

(٣) Hu R S (2000): Acupuncture plus Cupping for Arthralgia: Observation of 615 Cases. International Journal of Clinical Acupuncture 11, 245-246.

وأظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا [١] . كما استعمل فريق الطبيب الصيني (Wang) الحجامة مع الإبر الصينية بالإضافة إلى الاستعمال الظاهري لبعض الأعشابِ الطبية لمُعَالَجَة (٥٨) حالة مِنْ حالات التهاب المفاصل بسبب النقرس ، وأظهرت الإحصاءات أن نسبة فعالية المعالجة كَانتْ (٩٤,٦٪) [٢] .

وفي عام (٢٠٠٠م) نشر الطبيب الألماني (Uwe Albercht Arzt) تقريرًا ذَكرَ فيه أن الألم العضدي المذلي (brachialgia paraesthetica) يُمْكِنُ أَنْ يتحسن بصورة جيدة من خلال استخدام كؤوس الحجامة مع الإدماء [٣]

– **آلام أسفل الظهر** : تم استخدام كؤوس الحجامة أيضًا لمعالجةِ آلام أسفل الظهر . وقد نشر الطبيب الصيني (Yuxi) نتائج جيدة لمعاجة الالتواء القطني الحاد (acute lumbar sprain) بواسطة كؤوس الحجامة [٤] . وفي عام (١٩٩٦م)

(١) Chen Lei (1999): Treating 39 Cases of Acute Gout with blood-Letting Puncturing and Cupping Method. Shanghai Journal of Acupuncture; 18 (5):30.

(٢) Uwe Albercht- Arzt (2000): Brachialgia Parathetica can be Relieved by Scarification & Cupping. Kart and Veronica Carstens- Stiftung. German section.

(٣) Yuxi Z, Liying Z, Heping L and Zhen L (1993): Blood Letting for Treatment of Acute Lumbar Sprain, Journal of Traditional Chinese Medicine 13 (3):192-193.

(٤) Aiwen, L. and Lu, A (1996). The Use of Warm Needle =

قام الطبيبان (Aiwen) و (Lu) باستعمال الوخز بالإبر الساخنة وكؤوس الحجامة لعلاج ألم أسفل الظهر المُزمن المصاحب لفرط التعظم (Hyperostosis) [١] . كما أُستعملت كؤوس الحجامة أيضًا لمعالجةِ ألم أسفل الظهر المُزمنِ الناتج عن متلازمة المستعرض القطني الثالث (third lumbar transverse syndrome) [٢] .

– **التليف العضلي** : قام الطبيب الصيني (Huang) ورفاقه الأطباء بالمزاوجة بين العلاج بالتدليك ، والعلاج بكؤوس الحجامة مع الإدماء (بواسطة ثقب الجلد بالإبر الصينية) لمُعَالَجَة (٨٢) مريض يعانون جميعًا من التهاب الأنسجة الليفية لعضلات الكتف ، وأظهرت النتائج شفاء (٦٢) مريضًا ، وتَحسن (١٠) حالات بشكل ملحوظ ، و (٨) حالات أظهرت تَحسنًا طفيفًا ؛ بينما لم يُظهر اثنان من المرضى أي استجابة ؛ وسجلت الدراسة نسبة فعالية عامة تصل إلى (٩٧,٦٪) .

= Acupuncture plus Cupping Therapy for Chronic low Back Pain involving Osteoarthritic Hyperostosis. American Journal of Acupuncture 24-5,10.

(١) Sherman KJ, Cherkin DC, Hogeboom CJ (2001): The Diagnosis and Treatment of Patients with Chronic low-Back Pain by Traditional Chinese Medical Acupuncturists, J Altern Complement Med. Dec;7 (6) :641-50.

(٢) Huang Ji Yan, et al (1996): Massage and Induction. 10 (4) :4-5.

وفي دراسة تطبيقية أخرى ؛ أجرى الطبيب الصيني (Yang) الحجامة لمُعَالَجَة (١٣٣) مريض مصاب بالتهاب الأنسجة الليفية ، وذكر في الاستنتاج النهائي للدراسة أن (٨٦) مريضًا قد حظوا بشفاء تام ؛ وأن (٢٦) مريضًا أظهروا تحسنًا ملحوظًا ؛ بينما لم يظهر (٥) من المرضى أي استجابة تُذكر . وسجلت الدراسة نسبةَ فعالية عامة تصل إلى (٩١,١٪) [١] .

بالإضافة إلى ذلك ؛ فقد استخدم الطبيب الصيني (Liang) العلاج بكؤوس الحجامة بالإضافة إلى الوخز بالإبر المُسخنة (Moxibustion) لمُعَالَجَة (٤٢) مريضًا مصابًا بالتهاب الأنسجة الليفية العضلي ، وذَكرتْ الدراسة نتائج إيجابية مُرضية إلى حدٍّ كبير [٢] .

– **تنكس الفقار** (Spondylosis) : يُعَالج ممارسو الطب الصيني المرضى المصابين بتنكس الفقار باستخدام كؤوس الحجامة ، ثم بالوخز بالإبرِ على النقاط المؤلمة على العمود الفقري ، بالإضافةِ إلى مجموعة أخرى من النقاط . كما تُستخدم تقنية الحجامة المُتحركة أيضًا لمداواة المرضى المصابين بتنكس الفقار العُنقي (Cervical Spondylosis) حيثُ يُعتقد أن الكؤوس التي تمص الجلد بقوة ، وتنزلق بانسيابية

(١) Yang Jian Min, et al (1996): Anhui Journal of TCM Clinical Application. (3):130.

(٢) Liang Qing (1999): Journal of Practical TCM Internal Medicine;13 (3): 49.

ومرونة على ظهر المريض يُمْكِنُ أَنْ تُحفز توزيع الدورة الدموية في القفا ، وهو ما يعمل على تفريج واحتقان وتوتر العضلات وتخفيف الضغطِ على الأعصاب والشرايين .

وقد نجح الطبيب الصيني (Hong) في معالجة (١٠٠) مريض يعانون من تنكس الفقار العُنقي باستعمال تقنية الحجامة المُتحركة ، وسجلت الدراسة نسبة فعالية عامة تصل إلى (٩٧٪) وقد اختفت الأعراض تمامًا ، وكذلك العلامات السريرية لدى (٤٣٪) من المرضى وذلك بعد مرور شهر من العلاج . وأَكّدتْ نتائج الأشعة السينية أن التقوس الفسيولوجي للفقرات العنقيةِ عاد إلى الوضع الطبيعي في (٤٥) مريضًا ؛ كما أظهرت صور مُخطط صدى الدماغ (Echoencephalogram) أنَّ الإمداد الدَموي للشريان الفقري قد عاد لصورته الطبيعية أيضًا وذلك لدى (٢٠) مريضًا [١] .

٣ – الأمراض المُعديَّة : تذكر الوقائع التاريخية المتعلقة بتاريخ المعالجات الطبِّية أن العلاج بكؤوس الحجامة مع الإدماء قَدْ أُستعمل منذ عصورِ قديمةٍ في معالجةِ ارتفاع درجة الحرارة (الحُمَّى) . ففي فرنسا في القرن الثامن عشر نصح أحد الأطباءِ ؛ وكان اسمه فرانس (France) بالحجامة مع الإدماء مع بداية الإصابة بالأمراض المصحوبة بالحُمَّى مرتفعة الحرارة فقط .

(١) Hong Z (2000): Cervical Spondylosis:100 Patients Treated with Sliding Cupping. J Chin Med Issue 64 p.40 - 41.

ويَعتقدُ الأطباء الصينيونَ بأنَّ عددًا كبيرًا مِن الأمراض يحدث نتيجة الحرارةِ وركودِ الدمِّ ؛ ولذلك يستعملون الحجامة مع الإدماء لإزالة الركودِ الدموي ، ولتنشيط الدورة الدمَّوية والتخلص من العوامل المسببة المرض . واستنادًا إلى هذه النظرية يقوم الأطباء الصينيونَ بمعالجة الإنفلونزا ، والصداع والحُمَّى بالحجامة النَّازِفة ؛ كما يعالجون أيضًا التهاب المُلتحمة (الرمَد) وأيضًا التهاب العين الناتج عن استعمال الومضات الكهربائيةِ باستخدام الحجامة [١] .

كما تَتضمن التقاليد الشفهية المتوارثة والفولكلور الشعبي للعديد مِن الثقافات حول العالم المُعالجة بكؤوس الهواء كمعالجة رئيسية لنوبات الزكام ؛ حيث تُعد معالجة نزلات البرد أحد أشهر الاستعمالات التقليدية للعلاج بكؤوس الهواء التقليدية (تَثبيت كؤوسٍ حارةٍ على الجلد باستخدام اللهب) . وكانت تُستخدم على نطاق واسع لذلك الغرض ومن اللفتات التاريخية الظريفة المتعلقة بتاريخ الحجامة ؛ أن حوانيت الحلاقة في أوائل القرن العشرين كانت تُعلق لافتة على نافذة المحل للإعلان عن توفر خدمة الحجامة في المحل لعلاج البرد ؛ فكان الحلاقون يكتبون على النافذة (يوجد

(١) Jin C, Guangqi Z (1989): A Survey for Thirty Years Clinical Application of Cupping, Journal of Traditional Chinese Medicine 9 (2):151-154.

لدينا كؤوس هواء لمعالجة البرد) (Cups for Colds) [١] .

وقد سجل الطبيب الصيني (Hong) نَتائِج جيدة بعد تطبيق العلاج بالحجامة المُتحركة أو المنزلقة على (٢٥٠) مريض كانوا جميعًا يعانون من البرد والزكام [٢] .

وفي القرن الثامن عشر ، كانت المُعالجة بالحجامة تُعتبر علاجًا فعَّالًا لمرض الكوليرا [٣] . وفي الفترة الزمنية ذاتها ؛ وأثناء انتشار وباء الحمى الصفراء ؛ كان هناك تشجيعٌ في الأوساط الطبية على معالجة ذلك المرض بالفصد . بالإضافة إلى ذلك ؛ كان المرضى المصابون بالنكاف (التهاب الغدة النكافية) يُعالجون بتطبيق كؤوس الحجامة المائية على الغدة المتورمة [٤] .

وفي العام (١٩٣١م) أوصىَ الطبيب الشهير (Osler) في كتابه الذي يحظى بمكانة محترمة في الأوساط الطبية بمداواةِ التهاب النخاع الشوكي الحاد بكؤوس الحجامة [٥] .

(١) Martin FL: The World's Worst Medical Mistakes. Great Britain. Sevenoaks.1996 p.188-211.

(٢) Hong Z (1995) : The Application of Sliding Cupping Therapy for 250 Patients with Common Cold, in: Journal of Chinese Medicine,1 Seite.

(٣) Lindpaintner K (2001): Pharmacogenetics and the Future of Medical Practice: Conceptual Considerations. Pharmacogenomics 1:23-26.

(٤) King, Lester S (1971): A History of Medicine. p. 193-201 Penguin Books, England.

(٥) Osler W (1931): The Principles and Practice of Medicine 11.th rev. ed. New York and London, D. Appleton and Company.

٤ – **الأمراض الباطنية** : لطالما أوصىَ الأطباء القدامى بمعالجةِ أمراض الرئةِ بالحجامة خاصة السعال المُزمن ، والتهاب الجنبة (Pleurisy) ، والاحتقان الرئوي والربو الشُّعبي . وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد هبوط معدل استخدام الحجامة كعلاج استمرَّ العلاج بالإدماء (الفصد) كعلاج أساسي لالتهاب الجنبة أو ذات الجنب (Pleurisy) ، وذات الرئة (Pneumonia) . واستمرَّت التوصيَّة بإجراءِ عملية الفصد لمُعَالَجَة فشل القلب الاحتقاني (Congestive Heart Failure) إلى أواخر الثلاثينات من القرن العشرين . وفي عام (١٩٤٢م) نَصحَ الكتاب الإنجليزي الأول في الطبِّ الدراسي بإجراءِ عملية الفصد للمُعَالَجَة المُبكرة للحُمَّى المُصاحبة لمرض ذات الرئة ؛ كما دَعا السير وليام أوسلر (William Osler) في كتابه الطبي الدراسي – المُعتبر إلى حدٍّ كبير– لإراقةِ الدماء كمعالجة لمرض ذات الرئة الحادِّ [١] .

وكان الأطباء يوصون بالحجامة لبعض الأمراض القلبيةِ ؛ وكانت المراجع الطبية القديمة تذكر أن نزح ما يقرب من (١٠٠) ملليمتر مِن الدمِّ يُمكنُ أَنْ يساعدَ في مُعَالَجَة ارتفاع ضغط الدم [٢] . وفي حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ

(١) Skaar E (2004): Why.Blood Letting May Actually Worked. Science, Sept. vol: 305 pp.1626-1628.

(٢) Chirali I Z (1999): Traditional Chinese Medicine: Cupping Therapy; Churchill Livingstone.

قال: (**لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله**) [١] . ويُعلِّق الدكتور محمد علي البار : (وتبيَّغ الدم : هاج وثار ، والتبيُّغ : غلبة الدَّم على الإنسان ، وهو ما نعرفه اليوم بضغط الدم ، فإذا هاج الدم وارتفع الضغط ، فإنه قد يسبب انفجار أحد الشرايين في الدماغ ؛ فيقتل المصاب أو يصاب بالشلل ، وضغط الدم يؤدي إلى هبوط القلب وإلى الفشل الكلوي ، وكلاهما قاتل) [٢] .

ويقول الدكتور عبد الرزاق الكيلاني في موسوعة الحقائق الطبية في الإسلام موضحًا دور الحجامة بنوعيها : الجافة والمدماة (مع الإدماء) في معالجة العلل القلبية والصدرية : (وتفيد الحجامة الجافة في تسكين ألم ذات الجنب ، وتفيد في التهاب القصبات وذات الرئة واحتقانات الكبد والتهاب التأمور ، وقصور القلب الخفيف ؛ أما الحجامة المدماة فإنها عدا الأمراض التي تفيد فيها الحجامة الجافة تفيد في ارتفاع الضغط الشرياني بخاصة ؛ لأنها تكون كالفصادة وكذلك في قصور القلب الشديد ، وذات الرئة الحاد ، واحتقانات الكبد الشديدة ، وقصور الكلى الحاد ، والتسممات وقد استعمل النبي ﷺ الحجامة لعلاج الوثء ، ولعلاج الصداع ، والشقيقة ، والتسمم واستعملها الصحابة فوق ذلك لتبيغ الدم وأظن

(١) أورده ابن ماجه ، الحديث (٣٤٧٧) وصححه الألباني .

(٢) نقلًا من تحقيقه لكتاب الطب النبوي لعبد الملك بن حبيب الألبيري ، دار القلم ، دمشق (١٩٩٣م) ، ٤٩ .

أنهم كانوا يقصدون به ارتفاع الضغط الشرياني) [١] .

وفي عام (١٩٨٨م) ذَكرَ الطبيب الصيني (He) وزملاؤه أنَّ معالجة الربو الشُّعبي بوخز الإبر مع كؤوس الحجامة يُؤدِّي إلى تفريج أزمة الربو بشكل فوري ، ويعمل على تحسين الوظيفة الرئوية [٢] . وفي بعض الثقافات الشعبية كانت كؤوس الحجامة تُستخدم أيضًا على الظهر لمُعَالَجَة الربو في الأطفال .

كما تحتوي النصوص الطبية التي تنتمي إلى القرن التاسع عشر على معلومات تتعلق بمعالجة إصابات الجهاز البولية . تَضمنتْ المعالجة بالإدماء بواسطة كؤوس الحجامة ، وديدان العلق لعلاج الحصوات والخراريج . وكانت الحجامة تستخدم على أسفل الظهر (الفقرات القطنية) لمُعَالَجَة حصرِ البول (انحباس البول) .

٥ - الأمراض الجلدية : تُستخدم تقنية الوخز بالإبر المتبوعة بتطبيق كؤوس الحجامة في معالجة الأمراض الجلدية المقاومة للعلاجات الكلاسيكية ؛ حيث يعتقد الممارسون لهذا النوع من العلاج أنه يُعزز التأثير العلاجي للأدوية ؛ ومن أمثلة

(١) الحقائق الطبية في الإسلام (ص ٢٨٤ ، ٢٨٥) .

(٢) He JZ et al (1988): Observation on the Therapeutic Effect of Laser-AP in 101 Cases of Infantile Enuresis and its Influence on Constitution of the Patient, 16:180. ex CAP & M.1988; 8 (Feb) :17-19.

الأمراض الجلدية التي قد تنجح الحجامة في علاجها بشكل كامل ، وقد تعمل على تحسين وتلطيف الأعراض : الدمامل والخراريج ، الهربس النطاقي (herpes zoster) حبُّ الشباب ، التهاب النسيج الضام الخلالي (cellulites) ؛ والالتهابات الموضعية [١] ، وفي عام (١٩٩٣ م) ، سجل الطبيب الصيني (Chen) نتائج جيدة لمعالجة حبِّ الشباب بالعلاج المزدوج للوخز بالتمازج مع كؤوس الحجامة [٢] .

ولا يفوتنا أن نذكر بفائدة العلاج بالحجامة في السيطرة على أعراض الأمراض الناتجة عن الحساسية ؛ كالإكزيما والشرى (urticaria) وغيرها ؛ حيث تقوم الحجامة المدماة مقام الاستدماء الذاتي للتخفيف من أعراض الحساسية ؛ كالحكة الجلدية ؛ فمن الملاحظ أن الإنسان عندما يشعر بالحكة في جلده ؛ فإنه يعمد - على نحو فطري - إلى حَكِّ جلده ونبشه بأظافره حتى يخرج الدم من منطقة الحكة ، وما أن تنبثق قطرات قليلة من الدم حتى يشعر بشيء من التحسن والراحة حيث تهدأ العوامل التي تدعوه إلى الحكِّ .

(١) Li L, and Ding J (2001): Treatment of Urticaria with Cupping at Back-Shu Points-a Report of 40 Cases. J Tradit Chin Med. Mar; 21 (1):8-37.

(٢) Chen D, Jiang N, Cong X (1993): 47 Cases of Acne Treated by Prick- Blood Letting plus Cupping. J Tradit Chin Med, 13:185- 6.

٦ – **الاضطرابات النفسية** : تشير بعض التقارير الطبية إلى استعمال الحجامة ؛ كعلاج مساعد للمُهدئات العقلية المستخدمة في مُعَالَجَة داءِ الفصام (Schizophrenia) ؛ وقد أظهرت هذه الطريقة نسبة نجاح بلغت (٩١.٦٨٪) . هذا بالإضافة إلى تقرير طبي آخر أشار إلى استعمال كؤوس الحجامة مع الإدماء لمعالجةِ (١٦٢) مريض بداءِ الفصام ، ويذكر التقرير أن نسبة نجاح العلاج بلغت (٩٦٪) [١] . كما تفيد تقارير أخرى بفعالية هذا العلاج في تخفيف الكآبةِ [٢] .

والعلاج بالحجامة ؛ مثل العلاج بالتدليك ، فعَّال ضد القلق والتوتر . وكذلك يُمكن علاج الأرَق بجلسات الحجامة مع التدليك . حتى إن بَعْض المرضى متوسطي العمرِ والمسنين يَغطون في نوم عميق أثناء العلاج بكؤوس الحجامة على الظهرِ أو الخاصرة ، بل ويشْخرُون بصوت عالٍ أيضًا . وهذا يُظهر بجلاء أحد التأثيرات الواضحة لهذة الممارسة العلاجية على النظام العصبي وإن لم تتبلور آلية تأثيرِها بصورة علمية حتى الآن ؛ ولكن في يومٍ ما ، ومع مزيد من البحوث المرتكزة على المنهجية العلمية ؛ سَتَظهر الركيزة

(١) Dey T (2000): Soothing the Troubled Mind; Acupuncture and Moxibustion in the Treatment of Schizophrenia: Paradigm Publications, Brookline, Massachusetts

(٢) Cassileth B (1998): The Alternative Medicine Handbook. New York, NY: W. W. Norton & Co.

العلمية التي تقف عليها هذه المُعالجة العتيقة .

تنبيه هام : تُعلن وسائل الإعلام المختلفة وبعض الكتب المتفرقة عن دراسات علمية نشرت حول الحجامة والحقيقة أن هذه الدراسات تفتقد بالكلية لمنهجية البحث العلمي .. وبما أنه لا توجد معايير أو استطبابات للحجامة بالمفهوم الطبي الحديث ؛ فإن انتشار الحجامة بالشكل الحالي وتطبيقها على نحو عشوائي يشكل خطرًا على الصحة العامة ، وإذا ما كان هناك بعض الاستطبابات الطبية فيجب أن تُحدد حسب دراسات علمية تقوم بها جهات علمية مسؤولة .

* * *

أفضل أيام الحجامة

يجوز استخدام الحجامة في أي وقت إن كانت علاجًا لداء معين . وأما إن كان استعمالها على سبيل الوقاية فيستحب أن تكون في أوقات معينة نصت عليها بعض الأحاديث الصحيحة ؛ حيث ورد في بعض الأحاديث تحديد هذه الأوقات المفضلة ؛ من ذلك ما ورد عن أنس بن مالك أن رسول اللَّهِ ﷺ قال : « **من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرين ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله** » (١) .

وعن أنس ﷺ قال : (كان النبي ﷺ يحتجم في الأخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين) (٢) .

(١) رواه ابن ماجه في سننه .

(٢) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٢) .

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم واحد وعشرين** » (١) .

قال ابن القيم بعد أن ذكر الحديثين السابقين : (وهذه الأحاديث موافقة لما أجمع عليه الأطباء أن الحجامة في النصف الثاني ، وما يليه من الربع الثالث من أرباعه أنفع من أوله وآخره ؛ وإذا استعملت عند الحاجة إليها نفعت ، أي وقت كان من أول الشهر وآخره) .

قال الخلال : (أخبرني عصمة بن عصام قال : حدثنا حنبل قال : كان أبو عبد اللَّه أحمد بن حنبل يحتجم ، أي وقت هاج به الدم وأي ساعة كانت) (٢) .

ويقول الدكتور محمود النسيمي : (ليس للحجامة الجافة وقت معين لإجرائها وإنما تنفذ لدى وجود استطباب لها ؛ أما الحجامة المدماة المبزغة (مع الإدماء) فلها أوقات مفضلة في الطب النبوي والعربي إذا استعملت بشكل وقائي أما في حالة الاستطباب العلاجي الإسعافي فإنها تجرى في أي وقت . ولقد ورد أن النبي ﷺ احتجم بعدما سم واحتجم على وركه من وثء كان به ، أي وجع كان به واحتجم

(١) رواه الترمذي وحسنه ضمن حديث طويل وقد ذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٢) وغير ذلك من الأحاديث ، انظر الطب النبوي للسيوطي (ص ٢٤٤ - ٢٤٦) .

(٢) الطب النبوي (ص ١٧٤ ، ١٧٥) .

وهو محرم على ظهر قدمه من وجع أو وثء كان به ، وفي رأسه من شقيقة ألمت به ، ولم يرد عنه ﷺ أنه انتظر في تلك الأحوال يومًا معينًا أو ساعة معينة من اليوم ؛ ولذا تحمل أحاديث تفضيل أيام معينة من الشهر لإجراء الحجامة الدامية على إجرائها لأغراض وقائية كما في الدمويين لدى اشتداد الحر والله تعالى أعلم) [١] .

كما ذكر ابن سينا في كتابه القانون في الطب : (ويأمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر ؛ لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ، ولا في آخره ؛ لأنها تكون قد نقصت بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها ؛ لتزايد النور في جرم القمر) .

وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة أبحاث علمية كثيرة مفادها أن القمر عندما يكون بدرًا (الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) ، يزداد التهيج العصبي والتوتر النفسي إلى درجة بالغة .. فمن المعروف أن للقمر في دورته تأثيرًا على السلوك الإنساني وعلى الحالة المزاجية ؛ فهناك حالات تعرف بحالات (الجنون القمري) حيث يبلغ الاضطراب في السلوك الإنساني أقصى مداه في الأيام التي يكون القمر فيها بدرًا . يقول الدكتور ليبر عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة : (إن هناك علاقة قوية

(١) الطب النبوي والعلم الحديث (٣/١٠٢ ، ١٠٣) .

بين العدوان البشري والدورة القمرية وخاصة بينه وبين مدمني الكحول ، والميالين إلى الحوادث وذوي النزعات الإجرامية ، وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي) .

ويشرح ليبر نظريته قائلًا : (إن جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من (٨٠ ٪) من الماء والباقي هو المواد الصلبة) . ومن ثم فهو يعتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضًا هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في أيام البيض فيهيج الدم ويبلغ حده الأعظم ، وبالتالي يحرك كل الترسبات والشوائب الدموية المترسبة على جدران الأوعية الدموية العميقة منها والسطحية ، وعندما يبدأ تأثير القمر في الانحسار في الأيام من (١٧ - ٢٧) يصبح بالإمكان سحب الدم الفاسد المختلط بالشوائب .

ومن إعجاز الهدي النبوي أن يوصي رسول الله ﷺ بصيام الأيام البيض ، وهي أفضل وسيلة ينصح بها العلم الحديث للتخلص من التوترات العصبية والنفسية المصاحبة لتلك الأيام .

تنبيه : ينبغي التنبيه إلى أن الالتزام بتلك الأوقات يكون للحجامة الوقائية التي يقوم بها الإنسان طلبًا للنشاط وحفظ الصحة أما في الحالات المرضية ؛ فالحجامة تصلح في كل

وقت ، يقول موفق الدين البغدادي في الطب النبوي : هذا النهي كله إذا احتجم حال الصحة أما وقت المرض ، وعند الضرورة ، فعندها سواء كان سبع عشرة أو عشرين ، وكان أحمد بن حنبل يحتجم في أيٍّ وقت هاج عليه الدم ، وأي ساعة كان . ا هـ .

* * *

الحالات التي لا يجب فيها العلاج بالحجامة (موانع استعمال الحجامة)

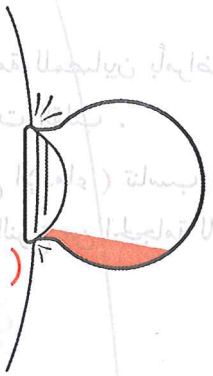

١ - لا يَجِبُ أَنْ تُثبت كؤوس الحجامة على مناطق الجلد الملتهبة أو فوق القُرَح الجلدية مباشرة ، وفوق الجروح الجلدية المفتوحة ؛ كما يُنصح بتفادي الحجامة أيضًا للمرضى المُسنين والأطفال نظرًا لرقة الجلد في هذه الفئات العُمرية .

٢ - يُمنع تمامًا إجراء عملية الحجامة للمرأة الحامل ؛ وبشكل خاص على منطقة البطن وأسفل الظهر .

٣ - يُحظر إجراء الحجامة (المُدماة بشكل خاص) لأصحاب الضغط المنخفض وأيضًا للفتيات والسيدات أثناء فترة الحيض .

٤ - يُنصح بعدم إجراء الحجامة فوق المواضع التي تتفرع تحتها أوعية دموية كبيرة وظاهرة .

٥ - ليس من المناسب إجراء عملية الحجامة للمرضى المُعرضين للنزف التلقائي أو النزف اللانهائي بعد الجروح

(سيولة الدم) .

٦ - يُمنع استخدام الحجامة للمصابين بأمراض القلب الذين يستخدمون منظم ضربات القلب .

٧ - الحجامة المدماة (مع الإدماء) تناسب البالغين ، ولَيس من المناسب إجراء هذا النوع من الحجامة للأطفال ، وكبار السن .

* * *

الحجامة
بين العلم والأسطورة

الفصل الرابع

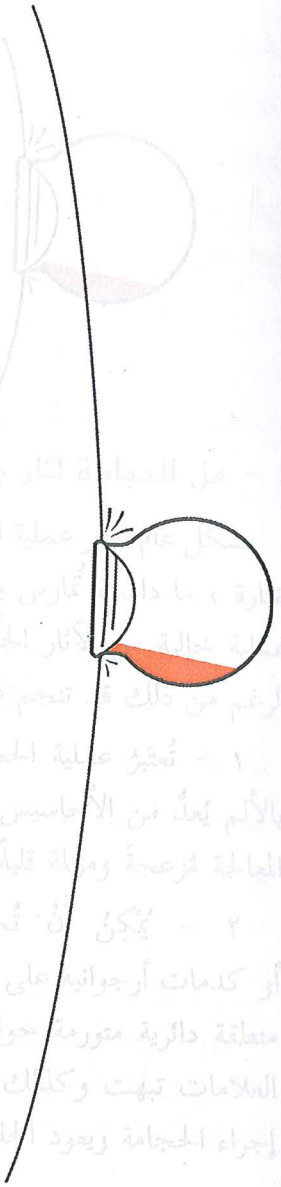

- تساؤلات تحتاج إلى إجابات .
- احذروا اللاهثين خلف المال باسم السنة الشريفة .
- كيف تتعرف على ممارس الحجامة المُحتال ؟

تساؤلات تحتاج إلى إجابات

١ – هل للحجامة آثار جانبية ؟

بشكل عام تعتبر عملية الحجامة عملية مأمونة للغاية وغير ضارة ، ما دامت تُمارس مِن قِبل ممارسين مؤهلين ، وهي عملية خالية من الآثار الجانبية إلى حدٍّ كبير ، لكن على الرغم من ذلك قد تنجم عنها بعض الآثار الجانبية التالية :

١ – تُعتَبرُ عملية الحجامة غير مؤلمة ؛ ولكن الشعور بالألم يُعدُّ من الأحاسيس النسبية ؛ لذلك قَدْ تَكُون هذه المعالجة مُزعجةَ ومؤلمة قليلًا لبعض المرضى .

٢ – يُمْكِنُ أَنْ تُخلف عملية الحجامة علامات أو كدمات أرجوانية على الجلدِ . ويُمْكِنُ أَنْ تترك الكؤوس منطقة دائرية متورمة حول موضع الحجامة ؛ ولكن هذه العلامات تبهت وكذلك التورم يختفي بعد أيام قليلة من إجراء الحجامة ويعود الجلد لطبيعته تمامًا .

٣ – قد تتسبب الحجامة المُدماة – كأي عملية تستنزف الدم – في تلوث الجرح بالميكروبات أو نقل الأمراض الخطيرة التي تنتقل ميكروباتها من خلال الدم . وهذا يؤكد ضرورة إجراء الحجامة في أماكن طبية مُهيئة وتحت إشراف طبي يضمن نظافة وتعقيم آلات الحجامة من كؤوس [١] ومشارط طبية [٢] ، وكذلك تعقيم الجلد قبل الحجامة وبعدها .

٤ – قد يشعر المريض بشيء من الإجهاد أو العطش بعد أو أثناء الحجامة ؛ إلَّا أن هذا الشعور يكون عرَضيًّا ويتخلص منه المريض سريعًا .

٢ – هل تعالج الحجامة الدوالي الوريدية؟

قد تُستَخدمُ الحجامة مع الإدماء ؛ لإزالة الدمِّ الراكدِ في الأوعية الشعرية الرفيعةِ ، ولكن لا يجوز بأي حال من الأحوال أَنْ تَنطَبقَ الكؤوس مباشرة على عروق الدوالي الرئيسية . وهذا الشكل من استخدامات الحجامة يُصنفُ كأحد الاستخدامات التجميلية (الشكلية) ؛ لأن الغرض من هذه الممارسة في أغلبية الحالات تجميل مظهر الدوالي وليس علاجها .

(١) يفضل استخدام كؤوس تُستعمل مرة واحدة ويتم التخلص منها كنفايات طبية يتم إعدامها بطرق خاصة تضمن عدم انتقال العدوى .

(٢) يجب استعمال الشفرة لشخص واحد حصرًا ، بعدها ترمى في مكان النفايات ، ولا يجوز أبدًا استعمالها لشخص آخر حتى ولو تمَّ تعقيمها بمحلول معقِّم .

٣ – هل للحجامة دور في علاج السرطان ؟

بالرغم من أن الحجامة لا تُستعمل كثيرًا كأحد العلاجات المكملة لعلاج السرطان ؛ إلَّا أن بَعْض الممارسين قَدْ يَستعملونَ هذا النوع من العلاج اعتقادًا منهم بأن بَعْض الأورامِ تُعرقل سريان الطاقة في الجسمِ ؛ وأن العلاج بكؤوس الحجامة يعمل على إعادة توازن الطاقةِ في الجسم . ولكن ليس هناك دليل علمي يدعم هذا الادعاء .

ولكن بالرغم من أن ليس هناك دليل علمي على أن العلاج بالحجامة يُمْكِن أَنْ يُعالجَ السرطان كمرض بذاته ؛ إلَّا أن هناك بعض المحاولات التطبيقية لتجريب هذا العلاج كعلاج مُساند أثناء علاج السرطان بطرق العلاج المتعددة المعروفة ؛ حيث يُعتقد بأنه يعمل على تحسين نتائج علاج السرطان ، وتحقيق راحة أكبر للمريض ؛ لاحتمالية تأثيره وسيطرته على الآثار الجانبية للعلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي التي يعاني منها المرضى المصابين بالأورام الخبيثةِ ، ولكن هذه النظرية ما زالت غير مؤكدة بعد ، وأمامها مشوار طويل من البحوث ، والتجريب السريري المُرتكز على نظريات الطب الحديث ؛ إذ يمكن أن تختلف نظرة الأوساط العلمية إلى هذه المعالجة اختلافًا جذريًّا عندما تتغير الفلسفات ، والنظريات التي تحاول شرح آليتها ، وطريقة عملها . فلا شك أن هذه المعالجة ستحظى بمزيد من التقبل

إذا أُستبدلت نظرية (إعادة توازن الطاقة) بنظرية أخرى تسمح بدراستها على أسس منهجية علمية ؛ على سبيل المثال يُمكن الانطلاق من فرضية أنها قد تُعزز من كفاءة الجهاز المناعي ؛ وهذا ولا شك يضع الحجامة في إطار جديد يُمكن الباحثين من تناول الموضوع بصورة عملية وعلمية في نفس الوقت ، وقد تم تجريب العلاج بكؤوس الحجامة الجافة التي تُستخدم كأحد أشكال التدليك (المساج) لمساندة العلاجات المعروفة للسرطان ؛ وكانت النتائج جيدة [١] .

لذا فليس من الحكمة إهدار أي قيمة افتراضية لعلاج ما قبل تجريبه ؛ والطبيب الحكيم قبل أن يقرر أن على المريض أن يتكيَّف مع الآثار الجانبية للعلاج الكيميائي والإشعاعي ، عليه إعطاء الفرصة للعلاج بالحجامة الذي قد يقلب كل التوقعات ، ويعطي نتائج مريحة للمريض إذا تمت ممارسته تحت إشراف طبي ، وعلى أيدي خبراء ذوي خلفية علمية متحررة من الخلفيات التراثية والفلسفية لهذه المُعالجة القديمة التي أكثر ما جنى عليها عمرها الطويل .

ومن جهة أخرى ؛ أرى أنه من الضروري أن أنبه قرائي

(١) Baoyan Qian, Chen Ruisheng and Hou Panchang (1995): Investigation on Effect of Self-Blood Therapy and Kneading-Cupping Therapy on the Adverse Reactions of Chemotherapy and Radiotherapy in Patients with Malignant Tumours, the International Journal of Acupuncture. VoL.1. No.2 (21).

إلى خطورة الدعوة الجاهلة التي تزعم أن الحجامة علاج للسرطان ، وتدعو إلى التخلي عن العلاجات المتعارف عليها للسرطان ؛ فالحجامة قد تدعم العلاج الكلاسيكي للسرطان ، ولكنها لا يمكن بحال أن تكون بديلًا له ، فهي قد تساعد في العلاج بطريقة غير مباشرة وليس معنى ذلك أبدًا التخلي عن التدخل الجراحي أو الكيميائي أو الإشعاعي ، وهي الخطوط الرئيسية لعلاج السرطان .

٤ - هل تعالج الحجامة مرض الفشل الكلوي ؟

نظرًا لفقر الدراسات العلمية التي تبحث عن تفسير لتأثير الحجامة على أمراض الكُلى ؛ فما من دليل يبرهن على فعالية هذا العلاج للمرضى المصابين بقصور في أداء الكليتين ؛ وإن اجتهد بعض المتحمسين للعلاج بالحجامة في تفسير ذلك من خلال مساعدة الجسم على التخلص من السموم التي تعجز الكلى عن تنقية الدم منها ؛ وتصف الدكتورة هيلينا عبد اللّٰه هذا المصطلح فتقول : (تعتبر الحجامة الحديثة وسيلة لاستخلاص العوادم السمية ، والعناصر المدمرة الزائدة من أجسامنا عبر سطح الجلد ، ومن ثم تجنيب الكليتين والكبد تبعات العمل الشاق) [١] . ويعزز أصحاب هذه النظرية رؤيتهم بأن النبي ﷺ قد استعمل الحجامة لعلاج التسمم بعد تعرضه

(١) الحجامة الحديثة : للدكتورة هيلينا عبد اللّٰه - ترجمة محمد فكري أنور - مكتبة مدبولي - القاهرة (٢٠٠٢م) .

لحادثة الشاة المسمومة [١] . ولكن هذا لا يعني جواز استخدام الحجامة لأي مريض بالقصور الكُلوي أو لأي مرض من أمراض الجهاز البولي استنادًا لهذه الذريعة ؛ إذ غالبًا ما تتداخل هذه الأمراض مع مجموعة معقدة من الأعراض يصعب علاج أحدها بمعزل عن الآخر ؛ فقد يتضرر مريض الكُلى المصاب بفقر الدم نتيجة العلاج بالحجامة المدماة ؛ حيث يفقد كمية من الدم أثناء العلاج ما يعني مزيدًا من فقر الدم ، كما أن هناك من العلاجات الحديثة ما ينجح أكثر من الحجامة في التعاطي مع مثل هذه الأمراض الباطنية المعقدة ، وهذا أحد الأمثلة التي توضح ضرورة أن يكون ممارس الحجامة طبيبًا ، وأن تكون هذه المعالجة تحت إشراف طبي فائق المهارة المهنية .

٥ – هل تعالج الحجامة أعراض المرض فقط ؟

يتصور بعض الناس ومعظم الأطباء – المتعصبين للطب الحديث – أن الحجامة تعالج أعراض المرض فقط ، ولا تعالج الأسباب الحقيقية الكامنة وراء المرض ؛ ولكن هذا ليس صحيحًا في كل الحالات ؛ ولتوضيح علاقة الحجامة بأعراض المرض ، وبالمرض ذاته ؛ يمكن تقسيم الدور الذي يمكن للحجامة أن تلعبه في علاج الأمراض إلى ثلاثة أدوار رئيسية :

(١) كان جابر ﷺ يُحدث أن رسول الله ﷺ احتجم على كاهله من أجل الشاة التي أكلها ؛ حجمه أبو هند مولى بني بياضة بالقرن .

أولًا : الحجامة كعلاج حقيقيٍّ ونِهَائِيٍّ Terminal Therapy

: يعتقد كثير من الأطباء – نظرًا لأساليب تفكيرهم المرتكزة على مبدأ السببية في العلم الحديث – بأن أعراض المرض هي مجرد انعكاس لأسباب حقيقية يجب الكشف عنها ؛ ولذلك فهم مقتنعون تمامًا أن الحجامة تعالج أعراض المرض فقط ، ولكن يجب ألَّا ننسى أن هناك أمراضًا هي في حد ذاتها مجرد أعراض فقط لا غير ؛ مثل بعض أنواع الإمساك ، والصداع ، وألم الرقبة ... وغيرها من الأعراض التي لا يجد الطبيب مُسببًا حقيقيًا لها . وهذه الأعراض تتحول عند اختفاء العوامل المُسببة إلى مرض في حد ذاتها ؛ الأمر الذي يعني أن التخلص من تلك الأعراض يمثل تخلصًا من المرض نفسه الذي لم يكن سوى أعراض يحس بها المريض ، ولا يمكن للطبيب تشخيصها معمليًا أو من خلال الأشعة .

وهناك مجموعة قليلة جدًّا من الأمراض تمثل الحجامة شفاءً تامًّا وحقيقيًا لها ؛ حيث يمكن معالجتها بالحجامة حصريًّا (دون علاجات إضافية) بنجاح تام . أشهر هذه الأمراض ؛ الصداع الغير مُسبب بمختلف أشكاله حيث يمكن معالجة المريض بطريقة الحجامة لإعادة توزيع الدمِّ في الجزء المؤلم من الرأس بشكل متوازن ، ومنتظم من خلال تنشيط جريان الدم .

احتاج إليها) [١] .

٧ – هل التبرع بالدم يُغني عن الحجامة ؟

التبرع بالدم هو نقل الدم الوريدي (Venous Blood) من شخص صحيح إلى شخص مريض لإنقاذه لكونه فقد دمًا ويحتاج إلى تعويضه ؛ وعملية نقل الدم لا تتم إلَّا تحت إشراف الأطباء ؛ لأنها تحتاج إلى اختيار الدم المناسب من حيث الفصيلة والخالي من الميكروبات المسببه للأمراض .

والتبرع بالدم بابٌ من أبواب الخير ، وله ثواب عظيم عند اللَّه ﷻ ويدخل فى إطار قول رسول اللَّه ﷺ : « **واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** » .

أما الحجامة فهي وسيلة من وسائل الاستشفاء للمريض نفسه ، ولا تعتمد على نقل الدم من شخص لآخر ، كما تختلف عن التبرع بالدم من حيث إنها تقوم الحجامة على استنزاف الدم في الشعيرات الدموية الدقيقة (Capillary Blood) وليس من الأوردة كما في التبرع بالدم ؛ لهذا فلا علاقة للحجامة بالتبرع بالدم .

وقد قام الدكتور : (رضا منتظر) في معهد أبحاث الحجامة في طهران بمقارنة دم الحجامة بالدم الوريدي ، وقد تمت الدراسة على (٤٠) متطوعًا وأظهرت الدراسة أن دم الحجامة يختلف اختلافًا كبيرًا عن الدم الوريدي ؛

(١) نُشرت الفتوى في موقع إسلام أون لين بتاريخ (٣ – ٨ – ١٤٢٤ هـ) .

من حيث الدهون الثلاثية ، والكوليسترول ، والجلكوز ، واليوريا ، وحمض البوليك ؛ واستنتجت الدراسة أن عملية التبرع بالدم ليست نظيرًا لعملية الحجامة ؛ نظرًا لاختلاف الكثافة ، والنوعية الكيميائية للدم الخارج من الجسم في كلتا الحالتين ؛ وهو ما يؤكد ما قاله الأقدمون من أن الحجامة تذهب بالدم الفاسد (كيميائيًا) وقد قدمت هذه النتائج في المؤتمر الثاني للطب الشعبي بطهران في أكتوبر (٢٠٠٤ م) [١] !

٨ – ما الذى يشعر به المريض بعد إجراء الحجامة ؟

تؤثر عملية الحجامة فى حد ذاتها – سواء الجافة أو الرطبة – بدرجات مختلفة عن المحتجمين :

فقد يشعر البعض بارتياح ونشاط وافر . وقد يشعر البعض بتعب وأعراض ؛ مثل : الغثيان ، والإسهال ، وارتفاع بسيط بدرجة الحرارة .. لكن هذه الأعراض تزول تدريجيًا .

وقد لا يشعر البعض بشيء (كأن شيئًا لم يحدث) .

كما تختلف الاستجابة العلاجية للحجامة من مريض لآخر .

فقد يحدث تحسن كبير وملموس للأعراض المرضية بشكل فوري وبمجرد عمل الحجامة .

(١) Montazer R (2004): The Comparison of Biochemical Factors in Phlebotomy and Wet Cupping. Iranian Journal of Pharmaceutical Research Supplement 2: 30-30 Poster Presentations/ Traditional Medicine.

وقد تحدث زيادة بحدة الأعراض بصورة مؤقتة ويلي ذلك حدوث تحسن تدريجي . وقد لا تحدث استجابة واضحة .

إذن فالاستجابة للعلاج بالحجامة تختلف من مريض لآخر وليس هناك (شهادة ضمان) بنجاح العلاج بدرجة مائة في المائة لكل المرضى .

٩ – هل من نصائح بعد إجراء الحجامة ؟

يحذر ستيفن ميكر [١] Meeker مرضاه الذين أُجريت لهم الحجامة من ممارسة الجنس قبل يوم وليلة من إجرائها ، وكذلك بعد إجرائها . كما يوصيهم بالامتناع المطلق من تعاطي المشروبات الكحولية لأربع وعشرين ساعة بعد الاحتجام ، كما أن عليهم أن يمتنعوا من تناول المثلجات ، والمشروبات الباردة في تلك الفترة أيضًا ، أما متعاطي الماريجوانا فيمنعهم من تناولها لمدة (٤٨ ساعة) . وينقل عن الأطباء الصينين قولهم أن داخل المريض يعتبر مفتوحًا إلى الخارج بعد الحجامة ليوم كامل ، ويمكن أن يلتقط البرد أو الإنفلونزا سريعًا إذا تعرض للبرد ؛ لذا فهو يوصي مرضاه بحفظ المنطقة المحجومة دافئة ومغطاة خلال ذلك اليوم .

وينصح بعض المؤلفين المحجوم ألَّا يأكل بعد الحجامة

(١) Stephen Meeter: Holley Wood Clinic (2003).

طعامًا مالحًا أو فيه بهارات وأن عليه أن ينتظر لمدة ثلاث ساعات . وبشكل عام لا بد أن يرتاح المحجوم ليوم أو يومين لا يجهد نفسه خلالها ، وأن لا ينفعل أو يغضب ؛ فالتوتر الشديد وعدم أخذ الراحة الكافية بعد الحجامة قد تكون سببًا لعودة الآلام إليه ثانية .

ويشير البعض إلى أن حرارة المريض قد ترتفع قليلًا خلال يوم من الحجامة وأن هذا أمر طبيعي ويزول بسرعة ، وهناك بعض الأعراض التي قد تظهر على المحتجم ؛ كالغثيان والدوار ، وقد يحصل إسهال عند الاحتجام في الظهر ؛ وهي أعراض طبيعية تزول خلال ساعات .

١٠ – متى عرف الإنسان الحجامة ؟

يظن كثير من المسلمين المتحمسين للحجامة أنها ولدت في مهد النبوة ؛ لارتباطها بتوصية النبي الأعظم محمد ﷺ ؛ ولذا فهناك تصور ذهني أن أول وجود تاريخي للحجامة كان في العهد النبوي ، والحقيقة أن الحجامة ممارسة عتيقة وقديمة قدم الزمن ؛ وتُعد أحد أقدم فنون العلاج التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ . فمنذ أزمان سحيقة (أكثر من ٥٠٠٠ سنة) ، لَعبَت الحجامة دورًا حيويًّا في التقاليد ، والطقوس الطبية للعديد مِن الثقافات ، والحضارات البشرية ؛ ومثلت أبرز علاجات الطبِّ الشعبي استعمالًا حول العالم ، فقد مورست مِن قِبل كُل الثقافات والمجتمعات البشرية تقريبًا .

وجاء النبي ﷺ ليُقر هذه المعالجة ويزكيها على غيرها من الممارسات الاستطبابية المعروفة في ذلك الوقت .

ويذهب بعض المؤرخين إلى وجود إشارات تؤكد معرفة الإنسان القديم - في العصر الحجري - لطريقة الاستدماء طلبًا للشفاء ، ويُقال بأن الإنسان تعلم الحجامة من سلوك بعض الحيوانات المريضة كالأبقار والخفافيش التي كانت تقوم بحك جلدها في جدار جاف لحد الإدماء ، ولاحظ الإنسان تحسن حالتها الصحية بعد إخراج كمية صغيرة من الدم . وليس من العسير تصديق هذه الفرضية ؛ فقد بعث اللّه غرابًا يبحث في الأرض ليلفت نظر الإنسان ويُعلمه كيف يدفن أخاه الميت .

وهذه النظرية وإن كانت مجرد تخمين فإنها تشير إلى أن تاريخ هذا العلاج موغل في القدم لدرجة يصعب معها تحري بدء معرفة الإنسان بهذا العلاج ، وبالتالي فليس من اليسير الإجابة عن السؤال : متى عرف الإنسان الحجامة ؟

١١ - هل من الضروري الالتزام بالأوقات المُستحبة للحجامة ؟

يُستحب إجراء الحجامة في : السابع عشر أو التاسع عشر أو الحادي والعشرين من الشهر العربي ، استنادًا إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول اللّه ﷺ قال : « **من أراد الحجامة فليتحرَ سبعة عشر ، أو تسعة عشر ، أو إحدى**

وعشرين ، لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله »[١] .

ولكن ذلك لا يعني أنها لا تُجرى إلَّا في الأيام المستحبة (١٧و١٩و٢١) من الشهر العربي ، وإنما المقصود أنها تعمل مباشرة عند وجود المرض ، فحين وجود المرض ليس على المريض الالتزام بتلك الأيام ؛ لقوله ﷺ : « **إذا هاج بأحدكم الدم فليحتجم ، فإن الدم إذا تبيَّغ بصاحبه يقتله** »[٢] ، ويذكر أن الإمام أحمد رحمه الله كان يحتجم في أي وقت هاج به الدم وفي أي ساعة كانت .

ويقول ابن القيم الجوزية : (إنَّ الحجامة في النصف الثاني ، وما يليه من الربع الثالث من أرباعه ، أنفع من أوله وآخره ، وإذا استعملت عند الحاجة إليها ، نفعت أيَّ وقت كان ، من أول الشهر وآخره)[٣] .

ولذلك يمكننا تقسيم وقت الحجامة بالنظر إلى حال المُحتجم ، الذي قد يكون صحيحًا أو مصابًا بمرضٍ معين ، **وبالتالي لدينا حالان زمنيان لإجراء الحجامة** :

١ - **في حال الصحة** : وتُجرى الحجامة حينئذٍ لا لعلةٍ معينة ، ولكن وقاية من الأمراض .

---

(١) ابن ماجه ، الحديث (٣٤٧٧) وصححه الألباني .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، (١٩٩٦م) ، الحديث (٢٧٤٧) ، (٥٦١/٦) .

(٣) ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، الطب النبوي ، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ٤٥ .

٢ – في حال المرض : حيث لا يلتزم المحتجم بتلك الأيام ، بل تُجرى الحجامة في أي وقت ؛ ولا شك أن من الأفضل أن يوافق ذلك الأيام المستحبة .

١٢ – لماذا انتشر العلاج بالحجامة الآن ؟ هل لأنها باتت أكثر فعالية من العلاجات الحديثة ؟

بسبب الإعلام الذي أخذ يضخم من أضرار العلاجات الكيميائية ويدغدغ مشاعر الجماهير نحو ما يسمى بالطب النبوي ؛ حيث يستخدم الإعلام عناصر التشويق وإثارة العواطف الدينية دون وعي لخطورة تضليل العملية العلاجية ؛ ومن جهة أخرى بسبب الممارسة الآلية للأطباء الكلاسيكيين ، وغياب التفاعل الإنساني مع المرضى ، وتغليب الهدف الربحي وأيضًا بسبب شيوع الأخطاء الطبية ، لكل تلك الأسباب نشطت العلاجات التكميلية ، وكان انتشارها سريعًا ، واتجه الناس إلى العلاجات البديلة ومن بينها الحجامة كما لو كانت (موضة) !!

والحقيقة أنه في بعض الحالات المرضية قد تُفيد إضافة الحجامة إلى وسائل الطب الحديث لتلطيف الأعراض ؛ حيث تلعب دورًا واضحًا في تحفيز وتنشيط الدورة الدموية الأمر الذي يدعم مفعول العلاج الدوائي ، ويعزز عملية الشفاء ؛ ولكن ذلك لا يعني جواز الاستغناء عن الدواء واستبداله بالحجامة . فهناك أمراض يصح فيها الاعتماد على

العلاج بالحجامة كمكمل ومساند للعلاج الطبي المتعارف عليه ، وحالات لا يفيد فيها إضافة العلاج بالحجامة ، وحالات ثالثة يمكن للعلاج بالحجامة أن يعالجها بشكل منفرد .

ولهذا فإنني أميل إلى اتجاه علاجي يدمج بين المدرستين فيما يمكن تسميته بـ (الطب الثالث) أي ليس الطب الأول التقليدي الكلاسيكي منفردًا ، وليس الطب الثاني التكميلي أو البديل ؛ بل ممارسة علاجية تنتقي من كل مدرسة ما يتقدم بالمريض خطوة على طريق العلاج ؛ حتى وإن كانت الخطوة التي تقدمها الحجامة طفيفة أو قصيرة فليس من الحكمة تجاهلها بل تقتضي حكمة الطبيب الحاذق إضافتها إن لزم الأمر ؛ لهذا فإنني من أنصار المزج بين نوعي الطب : الكلاسيكي ، والتكميلي ؛ وأن نأخذ من كل مدرسة ما يفيد ؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها . وهذا هو تحديدًا ما أسميه (الطب الثالث) ، وهو طب العقل المنفتح الذي يقبل كل علاج يمكن أن يدعم مسيرة الشفاء .

١٣ – مَنْ يقوم بعملية الحجامة ؟

على الرغم من سهولة عملية الحجامة ومأمونيتها ؛ إلَّا أنني أؤكد أن عملية الحجامة يجب أن تضبط من قبل جهات مسؤولة وأن يكون من يقوم بها طبيبًا يحمل ترخيصًا من قبل السلطات الصحية بمزاولة مهنة الطب . وأن يتم تطبيقها في

أماكن طبية مهيأة بأيدٍ ووسائل نظيفة ومعقمة تضمن سلامة المريض من انتقال العدوى بمرض خطير كالإيدز مثلًا . ومن الضروري التأكد من تلك المعلومات ؛ فمعظم المعالجين بالحجامة هم في الحقيقة ممارسون متطفلون على مهنة الطب وليسوا أطباء ، ولكنهم عادة يقدمون أنفسهم للمرضى كأطباء ويصنفون الأمراض تصنيفًا ساذجًا ، ثم يوزعون على كل مرض حفنة من الوصفات الشاذة التي لا تستند إلى أي برهان علمي ، وحيث إن التشخيص يسبق العلاج ولا بد ؛ فالمسألة لا تقتصر على وصف الدواء ؛ فحكمة الطبيب لا تتوقف على معرفته بقائمة من أسماء الأمراض والعلل ، وقائمة أطول من الأدوية والعقاقير ؛ بل على مقدرته على الوصول بأقصر طريق وبأسرع وقت إلى سبب العلة وتشخيص الداء ؛ ثم تحديد نوع العلاج وتحقيق التوازن في وصف الأدوية ، والاطمئنان إلى سلامة تناول أكثر من عقار معًا ومعرفة متى يتوجب وقف تعاطي هذا الدواء ، والاستمرار في دواء آخر ؛ ومنذ وقت مبكر ذكر الفقيه المُحتسب « الشيزري » (المُتوفى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) سمات الطبيب الحقيقي في كتابه « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » : « الطب علم نظري وعملي أباحت الشريعة علمه وعمله لما فيه من حفظ الصحة ، ودفع العلة والأمراض عن هذه البنية الشريفة ، والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء ، والأمراض الحادثة

فيها ، وأسبابها ، وأعراضها ، وعلاماتها ، والأدوية النافعة فيها ، والاعتياض عما لم يوجد منها ، والوجه في استخراجها ، وطريق مداواتها ليساوي بين الأمراض والأدوية في كمياتها ، ويخالف بينها وبين كيفياتها ؛ فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض إلى ما لم يحكم علمه من جميع ما ذكرناه » . وقد ورد هذا التحذير في الهدي النبوي الشريف أيضًا فقد روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن** » (١) .

ولابد أن نفرق بين الأطباء ، وبعض المهن الحرفية المتعلقة بالطب ؛ والتي يُعرف ممارسوها في التراث العربي بـ (المتطببين) الذين لم يكونوا أطباء ، فالمتطبب كانت التسمية الأكثر انتشارا لوصف أصحاب الحرف الطبية من غير الأطباء كالمجبرين والحجامين ؛ وأقرب مثال لشخصية المتطبب هو (حلاق الصحة) الذي كان إلى وقت ليس بالبعيد يُمارس خلع الأسنان ، وحقن الأدوية ويتصدى لكافة أنواع المشكلات الصحية في القرية ؛ أما إن استفحلت

---

(١) حديث حسن أخرجه أبو داود (٤٥٨٦) في كتاب الديات والنسائي (٥٣/٨) في كتاب القسامة ، وابن ماجه (٣٤٦٦) في كتاب الطب . وقال الألباني في « صحيح الجامع » (٦١٥٣) : حسن .

المشكلة واستعصت على الحل فكان على المريض أن يسافر إلى (البيمرستان) أي المستشفى في أقرب مركز أو مدينة ؛ ولكن نظرًا لانتشار وسائل الإعلام في العصر الحديث فقد انتفع المتطبب أو (الطبيب الهاوي) بتلك التقنيات الحديثة ولم يعد عليه أن يقبع في حانوت الحلاقة ويدع المُعضلات الطبية لمن هم أهل للتصدي لها ؛ بل تصدرت شخصية (المتطبب) شاشات القنوات الفضائية والصحف والكتب والأقراص المدمجة ؛ وكان لا بد مع كل هذا الزخم والضخ الإعلامي أن تنسى الناس أنه مجرد طبيب هاوي (متطبب) وليس طبيبًا حقيقيًا ؛ وبات طبيعيًا جدًّا أن تنهال عليه الأسئلة ، والاستشارات الطبية التي حيرت جهابذة الأطباء وأن تجد مُستقرها وحلولها كثمار طازجة تسقط بسلاسة ومن تلقاء نفسها تحت قدميه وبكل بساطة دون الحاجه لسنوات طوال من دراسة الطب وسنوات أطول من الخبرة العملية مع المرض والمرضى !

* * *

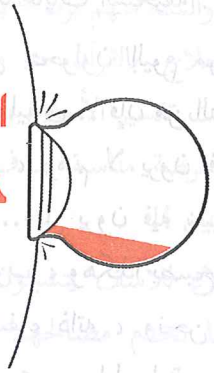

احذروا اللاهثين خلف المال باسم السنة الشريفة

ظهرت مؤخرًا دكاكين .. وشقق .... وأخيرًا .. عيادات (بلا أطباء) تحمل لوحات تُعلن عن « العلاج بالحجامة » مرفقة بقائمة من الادعاءات التي لا تنتهي عن فاعليتها وقدرتها على التعاطي مع مختلف الأمراض ... كل ذلك استنادًا إلى الأحاديث والتوصيات النبوية المتعلقة بالحجامة .

وكأن الرسول ﷺ لم يأمر الناس بالتداوي ؛ وإنما أمرهم بالحجامة ، والحجامة كانت علاجًا رائجًا على عهد الرسول ، ومع ذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام : « **تداووا ، عباد الله ؛ فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً إلا الهرم** »[١] . ولم يدلنا الحديث على الحجامة فحسب ، وإنما أمر بالتداوي وأطلق مفهوم التداوي ولم يقيده بنوع معين من العلاج ، فمن أين يطلع علينا هؤلاء الذين لا هم علماء

(١) (رواه الأربعة واللفظ لابن ماجه) .

بالحديث ولا هم أطباء بتلك الدعايات السخيفة .

وإذا كان كثير من الناس يتحولون اليوم من العلاج الدوائي إلى الطب الشعبي والتقليدي .. فإن من الناس أيضًا من يتحول إلى الطب النبوي ، وهم لا يرون فيه مجرد طريقة للحصول على الشفاء .. بل يرون فيه سبيلًا للفوز بمحبة اللّه ، وفرصة لمغفرة الذنوب ، وهكذا يصبح للتداوي مبررات أخرى أعظم من الشفاء ذاته ، ونحن لا ننكر أن المؤمنين بما يُعرف بالطب النبوي - والحجامة جزء منه - قد يجدون راحة نفسية تساعدهم على تجاوز المرض وتدعمهم نفسيًا ، كما لا ننكر مطلقًا القيمة العلمية الرائعة لعلاج عتيق شهد له الزمن مثل الحجامة .. ولكن ليس على هذا النحو المشين ، الذي يستغل حماس المسلمين الديني ، ويدغدغ عواطفهم تجاه النبي ﷺ بطريقة نفعية ورخيصة باسم الدين .. وليس بهذا التطبيق المبالغ بحجة إحياء السنة الغائبة .. وليس من خلال تلفيق قصص عن الشفاء السحري بفعل الحجامة ، وحكايات أقرب إلى المعجزات ، لو صح النزر اليسير منها لأصبحنا حديث العالم في مكافحة الأمراض القاتلة ، والفتاكة ، ولبات الوطن العربي قِبلة للمرضى من أنحاء العالم !!

وهكذا تم تعطيل العقل البشري بمهارة يحسد عليها من قام بتدشين تلك الأكاذيب ، وستظل مجتمعاتنا وأمتنا في جهل مطبق ما دام هؤلاء الدجالون يعبثون بالمجتمع باسم

السنة - والسنة منهم براء - بدءًا بعيادات الدجل التي يطلقون عليها العلاج بالقرآن - والقرآن منهم بريء - مرورًا باستشارات تفسير الأحلام ، وانتهاءً بالحجامة التى وجد فيها السفهاء فرصة مناسبة تقذف بهم بين صفوف الأطباء في غمضة عين !!

وهؤلاء للأسف يتشبثون ببعض النصوص الدينية التي يوظفونها تخدم مصالحهم ، ويلجأون إلى أسهل الطرق للكسب السريع ، وهو استغلال للظروف المرضية واستخفاف بعقول الناس ، وبلغت بهم الجرأة حد افتتاح عيادات بلا أطباء يصل قيمة الكشف فيها لأرقام لا يحلم بها أطباء قضوا جل حياتهم في الدراسة والأبحاث الطبية !!

دعونا نتساءل .. ما هي الثوابت الشرعية التي يتحدثون عنها ؟ هل استخدام السنة والمتاجرة بها من ثوابت الإسلام ؟؟؟؟ أود فقط لو ذكر لي أحد هؤلاء الغيارى على السنة النبوية نصًا واحدًا يفيد بأن الصحابة رضوان اللّه عليهم افتتحوا دكاكين للعلاج بالأدوية التي ذكرها النبي ﷺ أو عيادات لإجراء الحجامة ؟ أم أن الصحابة على قرب عهدهم بالنبي ﷺ والتصاقهم بحياته اليومية لم يفهموا كيف يطبقوا السنة بينما تكفل بذلك هؤلاء المتاجرون باسم الدين ؟

لقد توجه النبي ﷺ ، بنفسه للطبيب الذي أجرى له الحجامة ، ولم يمارسها عليه السلام بيده ولم يحاول تعلمها

أو معالجة أهل بيته على الأقل بها .. أما ما يفعله هؤلاء الدجالون فهو أمر محدث لم يعرفه السلف في عصر صدر الإسلام .. وجاءنا به الخلف في عصور الانحطاط الثقافي والسياسي والاقتصادي ؛ كنتيجة طبيعية ، وإفراز طبيعي لعقول ملأها الصدأ والجهل والتدني المعرفي وقبل كل ذلك الرغبة في الكسب السريع ...

الإسلام أعلى بكثير من أن يعطي هؤلاء الدجالين مسوغًا لتجارتهم .. والحقيقة أنهم استغلوا المقوله الماركسية الشهيرة « الدين أفيون الشعوب » واستفادوا من الجهل الرابض على عقول شعوبنا ، ولم يفهموا الآيات العظيمة التي تدعو للعلم عبر البحث والتجريب والمشاهدة ؛ قال اللّه تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] وتلك الآية التي توسد كل أمر لأهله ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] .

ولم يلتفتوا أو أغفلوا تأكيد النبي ﷺ على أن تحصيل العلم بالطب ، وممارسة التطبيب شرط في التعرض لعلاج الناس بأية وسيلة علاجية ، وحذر من ممارسة مهنة الطب للجاهلين به ؛ لأن في ذلك أذًى للناس وتلفًا للأنفس .

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : حدثني بعض الوفد الذين قدموا على أبي قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت**

فهو ضامن » [١] ، أي إن وقعت أخطاء ممن يتصدى لعلاج الناس ؛ ولم يعرف عنه دراسة للعلوم الطبية وممارسة للعلاج الطبي فهو ضامن لكل الأخطاء الناتجة من أفعاله ، وعليه تعويض المرضى مما قد يحدث لهم جراء فعله وإن حسنت نيته . ويبرر الإمام ابن القيم ذلك بقوله : (فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه ، فيكون قد غرر بالعليل ؛ فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم) [٢] .

وستظل مجتمعاتنا في سباتها العميق ما لم ينهض الواعون منها بحملات توعية وتثقيف شاملة لكل ما فيه التباس للطب بالدين ، فقد أُستغل الطب باسم الدين على مر العصور ، ولا يليق بنا أن نراقب في صمت تلطيخ سمعة الهدي النبوي ، وفتح الباب على مصراعيه لأعداء السنة ، والجاحدين لها الذين يتخذون من الشذوذ قاعدة ينطلقون منها للطعن في الدين مستندين إلى أفعال شائنة لحفنة من الجهال المنتسبين لهذا الدين العظيم .

وكان الأجدر بنا أن نقبل على تلك الثروة من الأحاديث التي تضمنت مضامين طبية بالدراسة المتأنية والمعمقة لاستنباط ما ينفع الناس بحق ، وأن نتجه للاهتمام بالحجامة كوسيلة علاجية ومعرفة أسرارها عوضًا عن الدجل الذي

---

(١) أبو داود (٤٥٨٧) .

(٢) (زاد المعاد : ٣/٧٠) .

يقدم باسم الإسلام يوميًا .. ولنسأل أنفسنا .. ما هو نوع (الطب الديني) الذي يستعين به الإنسان الياباني أو الأمريكي ؛ ليقدم لنا تقنيات الطب المذهلة وأحدث تكنولوجيا الطب المعاصر ، التي نأمل ألَّا نظل عالة عليها أبد الدهر !!

* * *

كيف تتعرف على ممارس الحجامة المحتال ؟

يجدر التنبيه إلى بعض العلامات التي تُشير إلى أن ممارس الحجامة مُدعٍ أو مُحتال ؛ فمعرفة هذه الادعاءات غير الصحيحة والتي تعرف بالشعوذة الطبية (Quackery Medical) تساعد على كشف حقيقة ممارس الحجامة ؛ فالحجَّام يكون محتالًا ومشعوذًا إذا توفرت فيه واحد أو أكثر من هذه الملاحظات :

- إذا ادعى بأن الحجامة تضمن معالجة كل الأمراض والعلل .
- إذا وعدك بشفاء عاجل ومدهش لعلتك .
- إذا انطلق بسرد وقائع أو حكايات أشبه بالمعجزات تشهد بفاعلية الحجامة .
- إذا وجدت عيادته مليئة بالشهادات والدبلومات والإجازات أو الجوائز الصادرة من مؤسسات غامضة لم تسمع بها من قبل .

- إذا بادر إلى فحص علتك واستجوابك بأساليب غير معتادة بين الأطباء أو في المستشفيات .

- إذا قال لك أن طريقته في العلاج بالحجامة تآمرت على كبتها ومحاربتها المؤسسات الطبية والصيدلانية التي تريد أن تحافظ على أرباحها ، واستغلالها للجمهور .

- إذا وجدت أنه يسوِّق علاجه بالحجامة عبر الإعلان في المجلات والفضائيات والجرائد والبريد بدلًا من افتتاح عيادة طبية رسمية تحمل ترخيصًا قانونيًا .

- إذا طالبك بأجر باهظ عن معالجته بالحجامة أو عن أي مواد غذائية أو عشبية ينصح بها بعد الحجامة (عسل - حبة البركة - ألبان أو أبوال الإبل) .

* * *

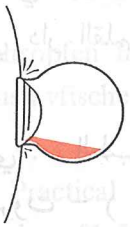

فهرس المراجع

المراجع العربية :

١ - ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - دار المعرفة بيروت .

٢ - ابن سينا : القانون في الطب .

٣ - ابن القف (٦٨٥هـ) : وكتابه عن الجراحة .

٤ - ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) : الطب النبوي ، تحقيق عبد القادر أرناؤوط . بيروت ، المكتبة الثقافية

٥ - ابن قيم الجوزية : زاد المعاد من هدي خير العباد - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - (١٩٥٠م) .

٦ - عبد الملك بن حبيب الألبيري : تحقيق كتاب الطب النبوي ، دار القلم ، دمشق ، (١٩٩٣م) .

٧ - محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، (١٩٩٦م) .

٨ - الفيروزآبادي « القاموس المحيط » : دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٩٩١م) .

٩ - د . محمد علي البار : في تحقيقه لكتاب « الطب النبوي » لعبد الملك الأندلسي دار القلم - دمشق - (١٩٩٣م) .

١٠ - محمود ناظم النسيمي : « الطب النبوي والعلم الحديث » مؤسسة الرسالة - بيروت - (١٩٩١م) .

١١ - د . هيلينا عبد اللّه : عن كتابها « الحجامة الحديثة » ترجمة : محمد فكري نور مكتبة مدبولي - القاهرة - (٢٠٠٢م) .

١٢ - د . أيمن الحسيني : « معجزة الشفاء بالحجامة وكاسات الهواء » - مكتبة القرآن - القاهرة - (٢٠٠٣م) .

١٣ - محمد نزار الدقر : روائع الطب الإسلامي - دار المعاجم - دمشق .

* * *

المراجع الأجنبية :

1 - Abele J (1998): Das Schropfen Einebewahrte Alternative Helmethode. Gustavfischer Uim Stutgart Jonn Lubeck.

2 - Bayfield S. (1839): A Practical Treatise on Cupping. Joseph Butler, London, 51-52.

3 - Birch S and Ida J (1998): Japanese Acupuncture; a Clinical Guide (181-2242), Paradigm Publications .

4 - Brockbank W (1987): The Ancient Art of Cupping; The British Journal of Chinese Medicine, VoL,1 And No.21: 22 Windhorse Press, London.

5 - Brockbank W (1987): The Ancient Art of Cupping; The British Journal of Chinese Medicine, Vol,1 And No.21-22 Windhorse Press, London.

6 - Chirali I Z (1999): Traditional Chinese Medicine: Cupping therapy; Churchill Livingstone.

7 - Hermine T (1996):5000 - year-old cupping treatment now successfully combined with BioResonance Therapy BICOM Resonance therapy. Institute for Regulative Medicine, 82166 Grafelfing-RTI. Volume - ;19 September, 1996 . Lorch, Germany. see URL :http//:www.newhopeclinic.com

8 - Hills M (1833): A treatise on the operation of cupping. Boston Med Surg J, 9: 261-73.

9 - Hua W, Qi W and Gang L (1996): Science of Acupuncture and moxibustion, p: 142-145 Wuhan University press.

10 - Jayasuriya A (1982): Traditional Chinese Acupuncture, the Acupuncture Foundation of Sri Lanka .

11 - Jin C, Guangqi Z (1989): A Survey for thirty years clinical application of cupping, Journal of Traditional Chinese Medicine9 (2): 151-154.

12 - Paulo de Tarso Costa dos Santos (1996): Cupping Electrode Therapy in Holistic Medicine: Institute for Regulative Medicine, 82166 Grafelfing- RTI Volume -19 September. 1996 Naturopath; Münich/ río de Janeiro. See URL: http//:www.newhopeclinic.com

13 - Stux G and Pomeranz B (1995): Basics of Acupuncture. Springer Verlag, Berlin; p.1-250.

14 - Turk JL and Allen E (1983): Bleeding& cupping, History of medicine, Annals of the Royal College of surgeons of England. Vol.65, P.128-131.

15 - Xinnong C (1987): Chinese Acupuncture and Moxibustion, Chapter (15) p:346-347, Foreign Language Press. Beijing.

16 - Yang J (1999): The history of cupping therapy: Zhonghua Yi Shi Za Zhi. The Institute of Basic Theory of TCM, China Academy of TCM, Beijing Apr; 29 (2):82-4.

17 - Yang J (1999): The history of cupping therapy: Zhonghua Yi Shi Za Zhi. The Institute of Basic Theory of TCM, China Academy of TCM, Beijing Apr; 29 (2): 82-4.

* * *

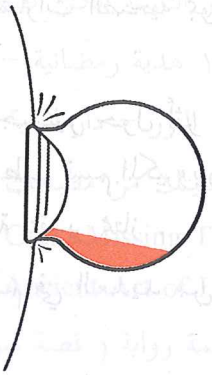

نبذة عن المؤلفة

- د . صهباء محمد بندق .
- حاصلة على بكالوريوس العلوم - جامعة القاهرة - عام (١٩٩٣م) .
- حاصلة على بكالوريوس الطب والجراحة - جامعة القاهرة - عام (١٩٩٧م) .
- حاصلة على دبلوم الدراسات الإسلامية (معهد الباقوري) - القاهرة - عام (٢٠٠٠م) .
- حاصلة على دبلوم المركز الثقافي الإسلامي (معهد إعداد الدعاة) - القاهرة - (٢٠٠٢م) .
- أتمت دورة تدريبية في العلاج بالطب البديل - جامعة الزقازيق - (٢٠٠٤م) .
- عضو هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، بمكة المكرمة .

- مستشارة صفحة الاستشارات الصحية بموقع إسلام أون لاين . نت

- أعدت أول رسالة ماجستير حول أثر الحجامة على الجهاز المناعي بكلية الطب قسم المكيروبيولوجي - جامعة الأزهر ، وقُبلت الرسالة بتقدير ممتاز .

- تكتب بشكل منتظم في العديد من المجلات والدوريات .

- **لها العديد من المساهمات الكتابية في شبكة الإنترنت الدولية على المواقع التالية :**

- موقع إسلام أون لاين :

http//:www.islamonline.net

- موقع إسلام اليوم :

http//:www.islamtoday.com

- موقع مسلمة :

http//:www.muslema.com

- موقع منظمة العلوم الإسلامية والأبحاث :

http//:www.islamschool.org

- **لها من المؤلفات المطبوعة :**

- فلسفة الزي الإسلامي للمرأة - دار السلام .

- الحب كيف نفهمه وكيف نمارسه - دار السلام .

- أسرار التلبينة الكنز الضائع - دار السلام .

- ١٢٠ هدية رمضانية - مركز الإعلام العربي .

- بنت النور - دار الراية .

- صيدليتك من مطبخك - دار الراية .

- Cupping Therapy: The Great Missing Therapy

- Cupping Therapy: The Ancient Art of Healing

- ترجمة رواية (قصة سريبرينيتسا) للكاتب البوسني إسنام تاليتش .

- ويمكنك التواصل معها من خلال البريد الإلكتروني التالي :

Sahboop@19hotmail.com
Sahboop@19yahoo.com

* * *

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) ..... العملة .....

- هل صادفت أخطاء طبعية في أثناء قراءتك للكتاب ؟

☐ لا يوجد ☐ نادرًا ☐ يوجد أخطاء طبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ .....

.....

.....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

.....

.....

.....

.....

.....

.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصل بناء بين الناشر والقارئ)